362.962 : H34mA
حسن - عبد الرؤوف
مصحة فؤاد الاول بحلوان
APR 9 8038

362.962
H34mA

73

مصحة فؤاد الأول بحلوان

ذكريات عشرين عاما

بقلم
الدكتور عبد الرءوف حسن
مدير مصحة فؤاد الأول بحلوان
ودبلوم الصحة العامة ودبلوم أمراض الصدر والمناظير الطبية - (من جامعة كمبردج - انجلترا)
وفحص أمراض الصدر من جامعة سنت اسبورج (فرنسا) ومصحات دافوس وليزان (سويسرا)

Cat. Khan. 1947

67468

١٩٤٦

مطبعة مصر شركة المساهمة

LIBRARY
OF CONGRESS

المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول
منشئ المجلة وصاحب فكرتها وراعيها

الإهداء

إلى مقام حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم

فاروق الأول

اعترافاً بجميل والده العاهل الراحل منشئ المصحة

ورعايتها على الوفد المصدود الذين استشفوا وعافيتهم في

أكنافها خلال عشرين عاماً تحية إجلال وتعظيم وذكرى

تمجيد وتكريم

إليها ..

عُودِي إِلَى مَاضِي عُهُودِكِ وَارْجِعِي
يَا مَنْ قَرَارُكِ فِي حَنَايَا أَضْلُعِي
رُوحِي فِدَاكِ ، وَمَا مَلَكْتُ وَدِيعَةٌ
عِنْدِي ، خُذِي مِنِّي الْوَدِيعَةَ أَوْ دَعِي
لَا تَحْسَبِي نَجْوَايَ قَوْلاً زَائِفاً
مِثْلِي إِذَا نَاجَى فَلَيْسَ بِمُدَّعِ
قَدْ عِشْتُ أَيَّامِي طَبِيباً شَاعِراً
الْحُبُّ نَهْجِي فِي الْحَيَاةِ وَمَشْرَعِي
يَا سَائِلِي عَمَّنْ أُشَبِّبُ بِاسْمِهَا
إِنِّي شُغِفْتُ بِحُبِّ هٰذِي الْأَرْبُعِ
دَارٌ بَذَلْتُ لَهَا عُصَارَةَ مُهْجَتِي
طَوْعًا وَمِلْتُ لَهَا بِقَلْبٍ طَيِّعِ

ظِـــلُّ المَصَحَّةِ لاَ يُفَارِقُ خَاطِرِى
يَوْمِى ، وَإِنْ أَغْفَيْتُ حَفَّ بِمَضْجَعِى

* * *

مَازِلْتُ عَنْ كُنْهِ الْحَيَـــاةِ مُنَقِّباً
حَتَّى ظَفِرْتُ لَهَا بِسِرٍّ مُقْنِـــعِ
يَمْشِى الْأَنَامُ إِلَى مَصِيرٍ وَاحِـــدٍ
خَطْوُ الْوَئِيدِ لَهُ كَخَطْوِ الْمُسْرِعِ
حَسْبُ الْكَرِيمِ الْحُرِّ خِدْمَةُ قَوْمِهِ
حَيًّا ، وَبَعْـــدَ الْمَوْتِ حُسْنُ الْمَرْجِعِ
يَا دَهْرُ خُذْ مَا شِئْتَ ، لَسْتَ بِمُوهِنٍ
عَزْمِى ، وَمَهْمَا جُرْتَ لَسْتَ مُرَوِّعِى
لِى فِى الْمَصَحَّةِ عَنْ هُمُومِكَ شَاغِلٌ
أَحْلَلْتُهُ فِى الْقَلْبِ أَسْمَى مَوْضِـــعِ

* * *

عِشْرُونَ عَاماً مِنْ حَيَاتِينَا مَعاً
أَصْـــدَاءُ قِصَّتِهَا تُعَاوِدُ مَسْمَعِى

رَاعَيْتُ نَهْجَ الصِّدْقِ فِي تَسْطِيرِهَا
لَا خَيْرَ فِي قَوْلِ امْرِئٍ مُتَصَنِّعِ
أَنْشَأْتُهَا ذِكْرَى وَجِئْتُ أَزُفُّهَا
جُهْدَ الْمُقِلِّ لِذِي الْمَقَامِ الْأَرْفَعِ
تُهْدَى إِلَى «الفاروق» مَفْخَرَةَ الْحِمَى
شِبْلِ الْكَرِيمِ الْعَبْقَرِيِّ الْأَلْمَعِي
إِنَّ الْمَصَحَّةَ نَفْحَةٌ عَلَوِيَّةٌ
مِنْ فَيْضِ وَالِدِهِ الْأَرِيبِ الْمُبْدِعِ

* * *

«فَارُوقُ» وَاسْمُكَ مِثْلُ فِعْلِكَ مِدْحَةٌ
أَغْنَتْ بَيَانِي عَنْ قَصِيدٍ مُمْتِعِ
مَوْلَايَ ، مَا وِرْدُ الْقَصَائِدِ مَشْرَبِي
كَلَّا ! وَلَا رَوْضُ الْقَوَافِي مَرْتَعِي
آثَرْتُ عَنْ حَمْلِ الْيَرَاعَةِ عِيشَتِي
مَا بَيْنَ مِسْمَاعِي وَبَيْنَ الْمِبْضَعِ

وَاعْتَضْتُ عَنْ لَهْوِ الشَّبَابِ وَزَهْوِهِ
مَجْدَ الطَّبِيبِ القَانِعِ المُتَوَرِّعِ

قَاسَمْتُ مَرْضَى الصَّدْرِ قَسْوَةَ عَيْشِهِمْ
فِي مَهْمَهٍ نَاءٍ وَقَفْرٍ بَلْقَعِ

حَسْبُ المُكَافِحِ أَنْ يَعِيشَ لِفَنِّهِ
مُتَرَفِّعًا عَنْ مَغْنَمٍ أَوْ مَطْمَعِ

عبد الرءوف مصطفى

تقـــــديم

ترجمة رسالة من جناب الدكتور رينيه برناند مدير المصحة الأسبق
بمناسبـــة انقضاء عشرين عاماً على بدء العمل بالمصحة

عزيزى الدكتور عبد الرءوف :

إننى لأستجيب لدعوتك إياى للمساهمة فى رسالتك التى تزمع كتابتها بمناسبة مضى عشرين عاماً على إنشاء المصحة ؛ ولقد رأيت من الأفضل أن أرسل لك هذا الخطاب ؛ ويسرنى أن أراه منشوراً بين ما ستذكره فيها عن أعمال المصحة وأخبارها ونواحى نشاطها .

الدكتور رينيه برناند

ذلك لأننى دائم الشعور برباط وثيق من المحبة العميقة والاهتمام الدائم بمصير المصحة التى عملنا معاً على تنظيمها خلال (١٩٢٦ إلى ١٩٢٩) تلك السنوات المليئة بالصعاب وحلو الذكريات . وإن هذه الفترة من حياتى لتتزاحم ذكرياتها على خاطرى متلاحقة.

لقد تركنا وطننا سويسرا — بلاد المراعى والغابات والمياه الدافقة — لنجد أنفسنا فجأة وسط الطبيعة الصحراوية الجرداء ، ولم تكن مصحتنا العتيدة أكثر من بنيان متهدم ؛ وكان علىّ أول الأمر أن أجد مأوى لعائلتى : زوجى بصحتها الحساسة ، وأطفالنا الخمسة ، وأصغرهم عمره أقل من عام .

وقد اخترنا ضاحية المعادى الفيحاء لسكنانا . ولكن بعد شهر من مقامنا بها قالت لى « مدام برناند » زوجى : « ليس لنا مقام فى هذه الجنة ، لقد جئنا إلى مصر فى سبيل المرضى ، فلنذهب لنعيش فى جوارهم !! »

وانتقلنا إلى حلوان حيث خصصت لنا وزارة الأوقاف فى مبنى المصحة مسكناً ظريفاً .

وكان لزاماً علىّ أن أتعلم العربية — وهى لغة لا تبدو فى الواقع سهلة — غير أننى سرعان ما تعلمت على الأقل كلمة «معلهش» ، تلك الكلمة التى كم استنجدت بها فى الملمات ، بحيث أدخلت استعمالها فى سويسرا ؛ وكان علينا فوق ذلك أن نندمج فى بيئتنا الجديدة ، وأن نعمل جاهدين فى تنظيم البناء المتسع الأرجاء الذى يجب أن يعد على وجه السرعة ، ليصبح ملاذاً لمرضى السل البائسين فى مصر .

وإنك لتذكر يا صديقى العزيز تلك الجهود الذى بذلناها . لقد اتسع صدر وزارة الأوقاف لمطالبنا المتعددة المتتالية . وقد لقينا أحسن الاستعداد والتشجيع من ولاة الأمر بالوزارة «حضرة صاحب السعادة ابراهيم فهمى باشا (وكيل الوزارة حينئذ) وحضرة صاحب العزة الدكتور سالم بك هنداوى ، وحضرة الدكتور نظيم» ، ولكننا كنا نحس أحياناً أن العبء الذى ننوء به أثقل مما تحمله أكتافنا وتحتمله قلوبنا ؛ وكان يبدو لنا أن المهمة الملقاة على عاتقنا مستحيلة التحقيق فى الوقت المحدود المقدر لها . ولكن صوتاً كان يتردد صداه فى طوايا ضميرنا باستمرار : أن لابد من إنقاذ المسلولين فى مصر ؛ وكان هناك إحساس عميق يخالجنا يستحثنا ، هو الشعور بالتبعة التى شرفنا جلالة الملك المعظم فؤاد الأول بتحميلنا إياها ؛ وكان لزاماً علينا أن نثابر جاهدين للقيام بأعبائها .

وهكذا رويداً رويداً بفضل تآزر الجميع بدأت المصحة تصبح صالحة لأداء رسالتها ، وتوافد المرضى رعيلا إثر رعيل ، ونال الشفاء كثيرون منهم ، وثبت أن أثر الجو الصحراوى فى شفاء السل أثر مدهش ، خصوصاً فى فصل الشتاء ؛ وحتى

أثناء شهور الصيف — حين كنتَ تقوم وحدك بادارة المصحة ، موفور النشاط حى الضمير — لم تبطىء سرعة التقدم . ولقد أيدت هذه الحقائق ما امتاز به الملك المعظم فؤاد الاول من الزكانة وبعد النظر ، إذ كان أول من فكر فى اختيار حلوان مكاناً لإنشاء المصحة .

وإنك لتذكر — يا زميلى العزيز — ذلك اليوم الذى لا ينسى ، ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ ، تاريخ الافتتاح الرسمى ، فقد كان جزاءنا على جهودنا ، كان يوماً صحواً من أيام وطنك الجميل ، تقاطر فيه سراة القاهرة ووجهاؤهم ليحيطوا بالمليك حين قدم وزير الأوقاف صاحب المعالى الغرابلى باشا إلى مولاه (مصحته)

ولقد جاس المليك خلال المصحة يواسى مرضاها ، ويحييهم بعطف ؛ وأعجب جلالته بملابس الخدم ، ونظافة غرف المرضى ، وبالكل (الناموسيات) وقد زانتها شرائط حمراء فى أقسام الحريم ، بل فى أقسام الرجال أيضاً ، وحتى المباصق كانت غير عاطلة من الزينة . . .

ولقد شعرت بشىء من الحرج حين سألنى المليك : « أهذه هى الحال دواما ؟ »

وقد تطلع المرضى من الشرفات إلى مليكهم يحيونه بحماس حين نزل إلى الحديقة ، فقال لى جلالته باهتمام وعطف : « قل لهم أن لا يرفعوا أصواتهم لئلا يؤثر ذلك فى صدورهم !! » ولكن تحياتهم ودعاءهم للمليك واعترافهم بجميله كانت تتعالى وتتزايد .

وقد سار كل شىء بعد ذلك على ما يرام ، اللهم إلا بعض المضايقات المشهورة التى سببتها لنا طريقة الصرف (مجارى المصحة) ، إلا أننى أرجو أن تكون

غابة شجر الكافور التى كان مزمعاً إنشاؤها قد تكاثفت الآن ، وتولت التخلص من مياه المصحة الموبوءة .

وأخيراً حل يوم مُتجهم حزين فى أواخر صيف عام ١٩٢٩ : يوم الوداع ..

فلقد كانت صحة زوجى ومشكلة تعليم أولادى الخمسة عوامل حاسمة فى تقرير الرحيل ، إذ كان يسعدنى أن أظل فى مصر بضع سنوات أخرى لأساهم فى إنشاء المستوصفات وغيرها من معاهد العلاج .

وقد كان وداعنا المؤثر للمرضى وأحبابنا فى مصر فراقاً مادياً لا غير ، أما عواطفنا وأفكارنا فظلت على اتصال دائم بهذا البلد الذى اعتبرناه وطنا لنا خلال ثلاث سنوات كاملة .

لقد كتبتَ لى اليوم — أيها المدير العزيز — وطى خطابك صور شاهدة على مبلغ مافى عملك من مجهود قوى منتج . فاسمح لى أن أهنئك على هذا الجهد البديع وتلك النتائج الرائعة . وانى لأعرف أن مصحة فؤاد تتولاها أياد قديرة ، وليس هناك شىء فى الوجود يزيد نفسى رضى وشكراً لله أكبر من علمى أن عملنا العظيم الذى اضطلعنا به معاً اطلاع الرواد منذ عشرين عاماً لم يكن عبثاً بل انتج هذه الثمار لصالح بلد سأظل أنا وعائلتى نكن له الحب دائماً .

وأرجو أن تبلغ جميع أحبائنا فى مصر وفى حلوان تحياتنا القلبية ، وأطيب تمنياتنا لمستقبل وطنك الجميل ، ومستقبل مصحة فؤاد الأول على الأخص ، ولأولئك المرضى الذين سيقصدونها ليجدوا فيها الصحة والعافية ، مع تحيات المودة من

الدكتور رينيه برناند .

لوزان (سويسرا) فى ٨ يونيه ١٩٤٦

تمهيـــد وإيضاح

لكفاح السل فى مصر خلال العشرين عاماً الأخيرة قصة رائعة شائقة تستحق التسجيل لطرافتها. وأحداثها لا تزال حية ماثلة فى أذهان الذين خاضوا غمار معاركها الأولى، وشهدوا وقائعها من وراء الستار، وما زالوا إلى اليوم أحياء يستعيدون بينهم وبين أنفسهم هذه الذكريات حلوها ومرها، دون أن يعنى أحدهم بتدوين هذه الذكريات، ونشرها على الملأ، لأن تيار الحياة يجرفهم معه، وأعباءها تثقل كواهلهم، فلا تواتيهم الظروف للعكوف على الكتابة والنشر.

ولقد قُدر لى فى صدر شبابى أن أشهد المعركة من بدايتها الأولى، وأن يدفعنى حماس عجيب إلى أن أخوض غمارها جندياً بسيطاً مغامراً بكل ما أملك من جهد. وكان القدر يسوقنى أمامه، وأنا فى اندفاعى لا أتلفت إلى الوراء، ولا ألوى على شىء. وها أنذا بعد أكثر من عشرين عاماً، أجد نفسى فى مكانى المختار — مصحة فؤاد الأول بحلوان — أرقب معركة كفاح السل فى مصر، وأشهد أحداثها، وأسجل تطوراتها فى هدوء وصمت.

وهذه الرسالة القصيرة، التى سأتناول فيها ذكرياتى عن مصحة فؤاد بحلوان منذ إنشائها إلى الآن، لا تهدف إلى أبعد من تسجيل لمحات عابرة عن جهود المعهد الذى فكر فيه وأمر بانشائه ورعاه عاهل عبقرى عظيم، هو المغفور له حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول، الذى تتشرف المصحة بحمل اسمه الكريم.

فمن حق المصحة علىّ، وقد مزجت حياتى بحياتها هذا الأمد الطويل، أن أؤرخ لها، وأن أسجل بعض جهودها فى إيجاز بالغ.

وأنى لأغالب فى نفسى حين أتصدى لهذا الحديث حياء يكاد يمنعنى عن الكتابة، لولا إيمانى بأن نزعة أداء الواجب يجب أن تتغلب على كل اعتبار آخر، فالحديث الذى يتعين على أن أسوقه ليس أكثر من رواية جندى صغير ساهم بنصيبه الضئيل المحدود فى عمل إنسانى جليل، وهناك آخرون من حقهم علىّ أن أسجل لهم ما بذلوه من جهود ليس من الانصاف أن تطوى أخبارها عن الناس إلى الأبد.

إن فكرة إنشاء أول مصحة فى مصر لعلاج مرضى السل هى أول خطوة إيجابية خطتها البلاد فى سبيل كفاح مرض فتاك عضال، كان يخترم آجال ضحاياه الكثيرين فى مصر فى صمت مروّع رهيب، دون وازع ولا رادع؛ وسنرى كيف تطورت هذه الفكرة وأصبحت حقيقة واقعة، وما اكتنف التنفيذ من عقبات وصعاب.

وفى وسعى أن أؤكد تأكيد عليم، أنه لولا النجاح الذى لقيته هذه المصحة لما تطور كفاح السل فى مصر هذا التطور السريع الذى يشهده الذين عاصروه منذ البداية بكثير من الغبطة والاستبشار.

ومن حق القارىء الكريم أن أصارحه بأننى حين بدأت أفكر فى إعداد هذه الرسالة قدرت أنها يجب أن لا تكون رسالة علمية جافة ضافية الذيول لا يهضمها غير المشتغلين بكفاح السل، بل قررت أن أجعل منها قصة إنسانية سلسة متسقة السياق، لا تخلو من طرافة يستسيغها القارىء العادى فى سهولة ويسر، ويستوعب محتوياتها فى وقت جد قصير دون مشقة أو ملل.

وللراوى تمهيد لابد منه ليبدأ القصة من أولها:

فى شتاء سنة ١٩٢٥، بعد أن انتهيت من بعثتى الدراسية فى جامعة كمبريدج

منظر عام للمصحة من الواجهات القبلية ، ويُرى الجناح الشرقى إلى اليمين ، والجناح الغربى إلى اليسار .

والأخير هو الذى استُخدم فقط عند إنشاء المصحة فى سنة ١٩٢٦ .

ويلاحظ أن نصف الجناح الشرقى فقط يبدو فى الصورة أما نصفه البحرى فغير ظاهر .

بانجلترا ، كنت أقضى فى ليزان (Leysin) بسويسرا إجازة دراسية عند الدكتور روليه (Dr Rollier) الذى يعالج مرض السل الجراحى بأشعة الشمس . وقد ترامى إلىّ بمحض الصدفة ، من طالب طب مصرى كان يستشفى فى ليزان ، أن هناك مفاوضات بين الحكومة المصرية وجناب الدكتور رينيه برناند (Dr René Burnand) مدير المصحة الشعبية بليزان ليتولى إدارة مصحة مصرية فى حلوان تزمع الحكومة إنشاءها لعلاج أمراض الصدر .

وكان هذا الخبر العادى العابر قبساً إلهياً فتح أمامى آفاقا مترامية من الآمال . ولم أكن قد زرت حلوان من قبل ، ولكنى كنت أسير فى طرقات ليزان الجبلية اتطلع إلى ما فيها من مصحات شامخة ، فأرى بعين الخيال مصحة مصرية فى حلوان ، قائمة على سفح ربوة عالية ، وأننى أسير فى طرقاتها وأدخل حجراتها وأرعى مرضاها ناشطاً دءوبا .

ولست أدرى إلى اليوم مبعث ذلك الشعور الغلاب الذى استولى علىّ بحيث قرّ فى ذهنى أننى سأكون المساعد المصرى للمدير السويسرى للمصحة المصرية التى لم تكن فى ذلك الحين غير مجرد فكرة لا أدرى عن ظروفها شيئاً ؛ ولكنه الشباب والخيال الشاعرى الجامح هما اللذان صورا لى أنه لامستحيل على القلب الشجاع ، فتركت ليزان إلى داڤوس پلاتز (Davos - Platz) أكبر وأقدم مراكز المصحات فى سويسرا لأعد نفسى لحمل الرسالة التى لم ينتدبنى أحد لحملها !

وحين عدت إلى مصر قصدت وزارة الأوقاف فى اليوم التالى لوصولى والتمست مقابلة حضرة صاحب العزة الدكتور سالم بك هنداوى ، مدير القسم الطبى فى ذلك الحين ، دون معرفة سابقة ، بل دون أن أتزود بأية توصية أو شفاعة ؛ وسألته أن يتيح لى فرصة خدمة وطنى فى منصب وكيل مصحة فؤاد . وهو طلب جرىء حقاً من طبيب شاب مغمور لا وسيط له ولا شفيع . . .

ولقد كان هذا اللقاء الأول بينى وبين هذا الرجل الكريم النبيل نقطة تحوّل حاسم فى حياتى العملية ؛ وإنى لأنتهز هذه الفرصة لأؤدى له بعض مافى عنقى من دين ، بأن أعلن على الملأ جاداً صادقا ، أن حضرة صاحب السعادة الدكتور سالم هندواوى باشا هو الذى أخذ بيدى إلى منصب وكيل مصحة فؤاد الأول دون معرفة سابقة أو شفاعة لاحقة ، ولولا مافى طوايا هذا الرجل النادر الصفات من أمانة وإخلاص وشرف ونبل لفاز بهذا المنصب غيرى ممن تزودوا بشفاعات الكبراء ووساطة ذوى الجاه والنفوذ . . .

ولقد ظلت مصحة فؤاد الأول بحلوان منذ ولجتُ بابها لأول مرة ، ولاتزال إلى الآن ، شغل حياتى الشاغل ، والميدان الذى اخترته لبذل جهدى فى خدمة وطنى ، وإنى لأدين لها بكل شىء ، وأعتز بها كما يعتز الابن البار بأمه الرءوم ...

وها أنذا فى عيدها العشرين أروى قصتها ، وأتحدث عنها إلى الناس فى حنان وإحساس عميق بالوفاء والاخلاص ، باعتبارها المدرسة التى أتلقى إلى اليوم بين جدرانها الدروس ، وأستجمع التجارب ، وأختزن الذكريات ، وأستقبل كل يوم وفوداً متلاحقة من أبناء وطنى المصدورين ، الذين أخذتُ على نفسى عهدا أمام الله أن أقضى الحياة فى خدمتهم راضياً مغتبطاً سعيداً ، فما عاش مَن عاش لنفسه فقط .

القسم الاول

عهد وزارة الاوقاف - الادارة السويسريه

(من أكتوبر سنة ١٩٢٦ إلى مايو سنة ١٩٣٢)

١ - قصة مبنى المصحة وتاريخه[١]

كان البارون يوهان فون كنوب (Yahann von Knoop) ، نبيلا روسيا موسراً من أصحاب أكبر مصانع النسيج فى بريمن (بألمانيا) ، وبتروغراد (بروسيا) وليفربول (بانجلترا) . وكانت له ابنة مرضت وتوفيت بالسل بانجلترا . وأصيب ابنه أيضاً بالسل ، فقصد به مصر للاستشفاء فى أواخر القرن الماضى .

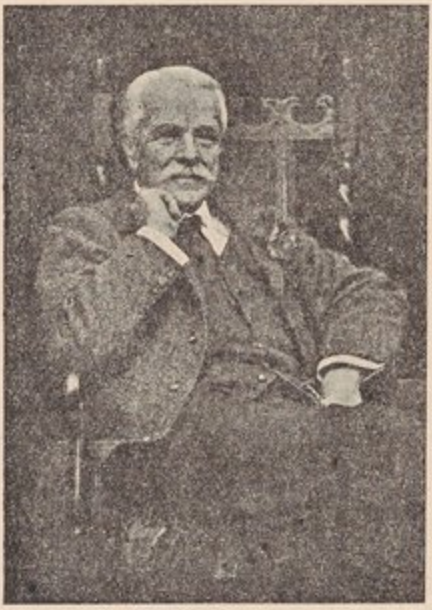

البارون يوهان فون كنوب

وبعد أن زار الأقصر استقر بحلوان ؛ وشاء الله أن يشفى ابنه من مرضه الخطير بفضل جو حلوان الشتوى البديع ، حوالى سنة ١٩٠١ ميلادية .

---

(١) نقلا عن المرحوم الدكتور ولهلم برمنجر - Dr. W. Preminger - آخر طبيب تشيكوسلوفاكى تولى الاشراف الطبى على « فندق الحياة » .

وشعر البارون كنوب الشيخ ، أن جو حلوان قد أفاده صحياً فائدة ملموسة فأصبح بالغ الحماسة والتشيع لحلوان ، واشترى فى سنة ١٩٠٢ منزلا يقع على ربوة عالية فى شرق حلوان كان يملكه « محسن بك » ، أحد وجهاء حلوان ، واستقر به ليستمتع بجو حلوان أطول مدة ممكنة .

وخطر له فى السنة التالية أن يؤلف شركة مساهمة ، بدأت برأس مال قدره ثمانون ألفاً من الجنيهات ، زيد بعد ذلك إلى مائة وخمسين ألفاً .

واشترت الشركة مساحة كبيرة من أملاك الحكومة ، وأقامت عليها فندقاً مصحياً (Hotel-sanatorium) - وهو التعبير الوارد فى عقد تأسيس الشركة الرسمى. وقام بوضع تصميم الأبنية والاشراف على إقامتها مهندسون مشهورون من ڤينا وسويسرا بين سنة ١٩٠٣ و ١٩٠٦ . وألحق بالفندق المصحى معهد طبى للعلاج كان مديره الأول طبيبا ألمانيا شهيرا اسمه الدكتور هانز فون كامب (Dr. Hans Von Campe)

واختارت الشركة «فندق الحياة» اسماً لهذه المؤسسة، دون إضافة ما يُشعر بأنه مصحة ، مراعاة لشعور الجمهور .

وازدهر «فندق الحياة» واستفاضت شهرته ، وقصده السراة وأولياء العهود والملوك من جميع أقطار العالم ، لفخامته واستكمال أسباب الراحة والعلاج فيه .

ولما قامت الحرب العالمية الأولى ، استولت عليه السلطات البريطانية على أنه من أملاك الأعداء ، واستخدمته لإيواء الأسرى الألمان والنمساويين أولا ، ثم لعائلاتهم ، ثم للجنود البريطانيين أخيراً .

ولما انتهت الحرب كان المبنى قد أصبح خرباً مهجوراً .

ومات البارون يوهان كنوب فى سنة ١٩١٥ ، وجاء أحد الورثة إلى مصر بعد انتهاء الحرب يعرض بيع المبنى وتصفية التركة . . ونمى الخبر إلى حضرة

صاحب الجلالة المغفور له الملك فؤاد الأول ، فأوعز إلى وزارة الأوقاف بشرائه وجعله مصحة لمرضى السل .

فاشترته وزارة الأوقاف فى مارس سنة ١٩٢٤ بمبلغ خمسة وعشرين ألفاً من الجنيهات ، وبدىء فى تنفيذ رغبة المليك ، وطُلب إلى المرحوم الدكتور ظيفل باشا كتابة تقرير عن موضوع استخدام المبنى لعلاج مرضى السل ، فكتب سعادته التقرير الذى سيجىء ذكره فيما بعد .

واختيار الموقع ، وتنسيق الأبنية وهندستها ، وطرازها ، يدل على علم وثيق وذوق ممتاز وخبرة واسعة بما يجب أن يتوافر فى مصحة من الطراز الفريد أنشئت للموسرين .

وأستطيع أن أقرر — بعد خبرة كافية — أن موقع المصحة فريد لا نظير له من وجوه كثيرة ، قلّ أن تتوافر فى مكان سواه فى جميع أنحاء القطر المصرى .

٢ — فكرة تخصيص المبنى لمرضى السل

ليس فى وسعى — حتى لو أردت — أن أجامل أحداً فى سرد الوقائع وأنا أؤرخ بأمانة تامة خالية من أى غرض ، ولهذا فإنى أؤكد للقارىء الكريم أن فكرة تخصيص المبنى لعلاج مرض السل فكرة شخصية للمغفور له صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول — رحمه الله — وأن جلالته هو أول من فكر فيها وأمر بتنفيذها بل أصر على ذلك ، رغم معارضة أطباء كبار ، لهم مكانتهم ونفوذهم ، وأساتذة لهم صيتهم الذائع .

ودليلى على ذلك مستمد من الوقائع التالية :

(أولا) فى سنة ١٩٢٦ ، بعد عودتى من الخارج ، قصدت كبيراً مسئولا

فى مصلحة الصحة ورجوته أن يتيح لى فرصة ممارسة اختصاصى ، ولو باعطائى سريرا واحداً فى «قصر العينى» . فكان جوابه : يا ابنى ، أنت تجرى وراء خيال فليس فى مصر سل ، وأنا خلال خبرة ثلاثين عاماً لم أر غير عدد محدود جداً من المسلولين يعد على أصابع اليد ، ابحث لك عن عمل أجدى وأنفع . . . »

فاذا كان هذا ما يدور فى خلد رجل مسئول ، له مكانته واعتباره ونفوذه ، ففى وسعى أن أقرر مطمئناً أن مدى انتشار السل فى مصر يومئذ كان مجهولا لا يُعنى أحد ببحثه أو الاهتمام بمحاولة كفاحه .

(ثانياً) حين اخترتنى وزارة الأوقاف لمنصب وكيل مصحة فؤاد ، ذهبت للقاء هذا الكبير المسئول فى مصلحة الصحة فقال : يظهر أنك لم تستمع لنصيحتى ، إن المصحة لا مستقبل لها ، فلن تجدوا مرضى لملء أسرتها ، وحتى لو وجدتم المرضى ، فجو حلوان فى الصيف سيسبب لهم نزيفاً رئوياً ، وستضطرون لإغلاقها » فأجبته : «سنجرب ونرى ما يحدث . . . »

(ثالثاً) فى أوائل أيام عملى بالمصحة ، قابلت أحد أساتذة قصر العينى الأجلاء ، وهو أستاذى ، وله فى نفسى إجلال لاحد له ، فقال لى «أنا غير موافق على اختيار حلوان لعلاج مرضى السل مطلقاً ، فهى فى الصيف جهنم ، والمرضى الذين سيقضون الصيف فى حلوان سيموتون حتماً » . .

ومن حسن الحظ أن هذه النبوءة لم تتحقق ، ولكنها فى حينها ، ومن أستاذ واسع الخبرة ، جعلتنى أرتقب الصيف الوشيك بوجوم ورهبة وقلق .

(رابعاً) فى حفلة الافتتاح الرسمى للمصحة ، أثناء دخول المغفور له جلالة الملك فؤاد الأول غرفة الأشعة بالمصحة ، قال له الدكتور برناند مدير المصحة السويسرى : إن التجارب التى جربها ، والإصابات التى عالجها ، دلت على أن إقليم حلوان من أكثر أقاليم العالم ملاءمة لمعالجة التدرن الرئوى ، وإن المصحة

الحالية قائمة فى خير مكان يمكن اختياره لهذا الغرض. وهنا ابتسم جلالته وقال بالفرنسية :

« وقل إنى لما طلبت شراء هذه الدار لتحويلها إلى مصحة، عارضونى معارضة شديدة، ولكنى صممت على رأيى وألححت فى طلبى ... وهكذا يجب على الانسان أن يتذرع بصدق العزيمة فى مثل هذه الظروف » (١)

وهذا التصريح الملكى الكريم، قاطع حاسم واضح الدلالة بعيد المغزى.

(خامساً) فى جريدة الأهرام الغراء (العدد ١٥٥٦١ بتاريخ ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ جاء ما يلى :

« وأخيراً حضر أحد أصحاب فندق الحياة فى سنة ١٩٢٤ ورغب فى بيعه لاستحالة الفائدة منه، فلما بلغ ذلك مسامع مولانا جلالة الملك المفدى أمر فى الحال بشرائه، وكلف المرحوم الدكتور ظيفل باشا أن يكتب تقريراً طبياً يفصل فيه الفوائد الجمة التى تعود على الأمة المصرية الكريمة من إعداده مصحة كما كان، ولكن للفقراء الذين يقعد بهم سوء الطالع عن تحمل نفقات العلاج.

وصادفت هذه الفكرة هوى فى نفس المرحوم ظيفل باشا فكتب تقريره المشهور ورفعه إلى وزارة الأوقاف فى سنة ١٩٢٤ والذى نقتطف منه ما يلى :

« أمر جلالته بمشترى هذا المستوصف الجميل والشروع فى تصليحه لعمله مستوصفاً لمعالجة الأمراض الصدرية والأمراض الأخرى التى تشفى وتتحسن بالحالة الجوية الخاصة بحلوان » (انتهى ما نقلناه عن جريدة الأهرام الغراء)

ويتبين جلياً من ديباجة هذا التقرير الطريف وسياقه، أنه دفاع عن التوجيه الملكى الكريم وتبرير له، كتبه طبيب ذائع الصيت، ليردّ به على آخرين أبدوا آراء معارضة ...

---

(١) نقلا عن الأستاذ كريم ثابت بك فى مقال بجريدة المقطم العدد ١١٨٥٥ بتاريخ ٢١ فبراير سنة ١٩٢٨ .

ونحن إذ نبرز هذه الحقيقة التاريخية ونسجلها ونعلنها بعد كل هذه السنوات إنما نرد الفضل إلى صاحبه الأصيل ، ونحنى الرءوس إجلالا لعبقرية المليك الراحل ، وأصالة رأيه وبعد نظره وسعة أفق تفكيره ، حتى فى هذه المسألة الطبية البحتة .

٣ — اختيار المدير السويسرى الأول (Dr. René Burnand)

من الحقائق المسلم بها المقطوع بصحتها ، أن المعاهد العلمية — وبالأخص العلاجية منها — ليست قيمتها الحقة فى ضخامة بنائها وفاخر أثاثها وبهرج طلائها ، بل فى اقتدار القائم بالإشراف عليها ، فناً وخُلقاً وإنسانية .

والمصحات على وجه التحديد ، لا تحتاج فى إدارتها إلى العلم وحده ، إذ يتعين أن يجمع مدير المصحة الناجح بين العلم ، والتجربة الطويلة ، والخلق السلس الرضىّ ، والانسانية الرحيمة الواسعة الأفق ، التى تستوحى فى علاج مرضى السل أنبل المشاعر ، وأسمى ما فى النفس البشرية من دوافع التضحية وإنكار الذات .

والمصحة المصرية الناشئة — ولم تكن بعد غير بناء متهدم ، وفكرة إنسانية نبيلة ، خطرت ببال عاهل عبقرى مصلح — كانت فى مسيس الحاجة إلى عالم مجرب ، وإنسان موهوب ماضى العزيمة ، يستطيع أن يحيل هذا المبنى الخرب إلى :

دار تُنِيء إلى القلوب سَكينةً وتُفيض عافيةً على الأجساد

وإنى إذ أخط هذه السطور بعد عشرين عاماً كاملة — وهى فترة زمنية مديدة تكفى لرواية الحوادث وتقرير الوقائع فى هدوء واتزان — أستطيع أن أؤكد أن اختيار المدير السويسرى الأول — الدكتور رينيه برناند — جمع كل عناصر

التوفيق الإلهى لانجاح مشروع المصحة العتيدة .

ففى ترجمة حياته الموجزة ، التى يراها القارىء فى مكان آخر ، يبدو جلياً أنه عالم من طراز نادر ، وكاتب ضليع وأديب ممتاز ، من حظ مصر أن ظفرت به لأداء المهمة الدقيقة التى ندب لها . والذين عرفوا الدكتور برناند ، وكان من حسن حظهم أن عملوا معه ، يعرفون سعة أفقه ، وشخصيته الجذابة المحببة إلى القلوب ، وحبه الصادق لمصر والمصريين ، وإخلاصه القلبى فى تكوين جيل من الأطباء المصريين الذين تابعوا العمل الجليل الذى بدأه ، والذى يقوم إلى اليوم شاهداً على علم الرجل وفضله وتوفيقه .

وفيما يلى بيان طريف عن ظروف اختيار جنابه لادارة المصحة عثرت عليه مكتوباً بقلمه ولغته السلسة وفيه يقول جنابه :

« فى خريف سنة ١٩٢٥ كانت القنصلية المصرية بسويسرا تبحث عن إخصائى لتنظيم مصحة مصرية تزمع وزارة الاوقاف إنشاءها بحلوان .

وكنت أزمع ترك ليزان (Leysin) للاستقرار بلوزان (Lausanne) لادخال أولادى بمدارسها . وخاطبنى القدرى بك ، القنصل المصرى فى هذا الشأن ، فاستهوتنى الفكرة لطرافتها .

وبعد مفاوضات كثيرة تلقيت من وزارة الأوقاف المصرية برقية فى فبراير سنة ١٩٢٦ للحضور إلى مصر ، وقضاء بضعة أسابيع لدراسة مشروع المصحة ووسائل تنفيذه .

وفى ٧ ابريل سنة ١٩٢٦ ، وصلت إلى القاهرة ، وقابلت حضرة صاحب السعادة إبراهيم فهمى باشا وكيل الوزارة ، وحضرة صاحب العزة الدكتور سالم بك هنداوى مدير القسم الطبى الذى استصحبنى فى اليوم التالى إلى حلوان فى سيارة ، وهناك وجدنا مصحة المستقبل عبارة عن مكان خرب مهدم تماما ، وكان القيظ

شديداً ، والطقس استوائى مرهق ، وظاهر الأحوال يدعو الى اليأس والقنوط .

وقادنا (محمد عوض ـ الخفير) ، والحاج (أحمد الدباح الميكانيكى) وسط الخرائب المهجورة ، وقدما لنا ماء وموزاً حين أدركنا الكلال والتعب .

وقضيت بعد ذلك أربعة أسابيع ، أضع تفاصيل تنفيذ مشروع المصحة . فى الصباح أعمل مع الدكتور هنداوى بك والدكتور نظيم بك بالوزارة فى وضع قوائم المهمات اللازمة للمصحة ، ثم أذهب إلى حلوان مع الدكتور هنداوى بك لتوزيع الأمكنة وتحديد المواقع على طبيعة البناء .

ولقد فكرنا خلال هذه الأسابيع الأربعة فى كل شىء ، فى المغاسل وجهاز تعقيم المباصق وأوانى المطبخ والأثاث والأغطية والآلات الجراحية . الخ . ورحنا نذرع القاهرة لعمل المناقصات اللازمة من محلات بلاتشى إلى شيكوريل إلى البون مارشيه الى محل الدجم (الهلال الاحمر) الخ

وقد حظيت فى خلال هذه الفترة بالتشرف بمقابلة حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد ، مبتدع المشروع ، وصاحب فكرته ، والمشرف الأعلى على إنجازه .

وفى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٦ ، عدت إلى سويسرا بعد أن أمضيت عقداً لمدة ثلاث سنوات مع وزير الأوقاف حضرة صاحب المعالى محمد توفيق رفعت باشا بحضور القدرى بك قنصل مصر بسويسرا ، وكان فى مصر بالاجازة فى ذلك الحين ، على أن أبدأ العمل فى سبتمبر التالى .

وخشية قيظ حلوان على صحة عائلتى ، حجزت بالمعادى مسكناً مناسباً لأقطن به عند عودتى فى الخريف » .

٤ — الصعاب الأولى . المكافحون الأبطال

نترك لجناب الدكتور برناند إتمام الحديث الذى بدأه فيما أسلفنا ، ففيه وصف طريف شائق يستحق التسجيل للفترة الأولى من حياة المصحة الناشئة :

يقول الدكتور برناند :

« فى ٩ سبتمبر سنة ١٩٢٦ عدتُ إلى مصر مع عائلتى ، وكان ابنى الأكبر قد عُملت له عملية استئصال الزائدة الدودية فى الصيف وكان جرحه لم يلتئم بعد »

وجاءت معى الآنسة أندريه فلور «Mlle A . Fluhr» وهى ممرضة فرنسية ، خريجة معهد السورس بسويسرا ، والدكتور موريس جلبير «Dr M . Gilbert» على أن يعمل الدكتور طبيباً للأشعة ، ولكنه سرعان ما بذل جهده كله فى معاونتى.

وبدأنا نواجه صعابا ميئسة منذ اللحظة الأولى ، فلم تكن وزارة الأوقاف قد قطعت شوطا بعيداً فى ترميم بناء المصحة المهدم خلال الثلاثة الشهور السالفة. وكان علىّ أن أجد مكانا لمبيت طبيب الأشعة والممرضة الفرنسية ، إذ كان البناء خاليا من أى سرير أو غطاء . . .

وأغاثنا الدكتور نظيم بك ، فاشترى سريرين وحشيتين (مرتبتين) وقطع أثاث صنعت على عجل ، وابورات طبخ عادية (پريموس) ، وبضع (حلل) وتركها لنا على مدخل المصحة ، ومن الأسف أنه لم يكن معنا آلة تصوير لنسجل هذا المنظر الفريد . . .

وبدأ الطباخ يجهز الطعام على وابورات «البريموس» ، وتناولنا قهوتنا جلوسا فى الحديقة حول مائدة مكونة من صناديق الأسمنت الفارغة . . .

وكانت وزارة الأوقاف قد عينت بعض موظفى المصحة ، أولهم وأقدمهم عهدا «يوسف افندى سامح المهندس» ورئيسة ممرضات سويسرية «الآنسة جوليا

فالتر» «Mlle Julia Walter» التى استقالت بعد قليل لتحل محلها الآنسة فلور (Mlle Fluhr)، وطبيب امتياز «الدكتور عثمان أفندى شاهين» وقد استقال بعد مدة وجيزة، «ومحمد أفندى عثمان» المعاون وأمين المخزن، وهو رجل مجامل مخلص لعمله إلى درجة التفانى فيه حتى الإعياء والتهالك على نفسه من فرط الإجهاد.

وقد وعدنا أن نقبل أول مريض فى ٩ اكتوبر سنة ١٩٢٦ بمناسبة عيد جلوس حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول، برغم أنه كان ينقصنا كل شىء، وكان لابد لنا من البر بهذا الوعد.

وجاءنا مريض اسمه «راءول حزان» من الاسكندرية فقبلناه فى هذا التاريخ وافتتحنا به المصحة، وبعد أيام قليلة جاءتنا مريضة اسمها «نجيه زغلول» فقبلناها وافتتحنا بها قسم الحريم المجانى. ثم جاءنا موظف مريض من وزارة الأوقاف.

وكنا مضطرين لتحديد عدد مرضى المصحة لنترك لوزارة الأوقاف فرصة شراء ما ينقص المصحة من أثاث ومعدات، ولكن المرضى كانوا يتوافدون علينا باستمرار، وكان أهلهم يحملونهم إلينا ويتركونهم فى طرقات المصحة لتقدم حالتهم الصدرية.

ومرّت بنا أوقات عصيبة ميئسة، فكان الخدم قليلين وعديمى الخبرة، ولم يكن بالمصحة ماء أو كهرباء أو جهاز أشعة أو حتى مطبخ...

وكنا نستقى بنقل الماء بالصفائح من منزل قلينى باشا المجاور للمصحة، وكانت مجارى المصحة مهدمة، وخزانات المياه فيها خروق يحاول المهندس بين آن وآخر رأب صدوعها ليمنع تسرب المياه منها.

واشترت وزارة الأوقاف سيارة (فورد) على عجل، كانت تحملنا — المدموازيل فلور والدكتور جلبير ومحمد أفندى عثمان وأنا — إلى القاهرة

لتملأها ونعود بها فى المساء محملة بالحاجيات المنزلية المتعددة من الكوبة إلى مسحة الأطباق ...

وكانت عربات محلات بلاتشى وشيكوريل حين تصل إلى المصحة تحمل الأثاث وغيره من المشتريات تبعث فى نفوسنا كثيرا من الرضى والغبطة.

وفى يناير سنة ١٩٢٧ وجدت من الضرورى الانتقال مع عائلتى من المعادى إلى المصحة لاستحالة إدارة المصحة عن بُعد.

وقد كان من حسن حظنا أن شفى بعض مرضانا شفاء سريعاً، وترامى خبر هذه الحالات إلى الجمهور فزاد إقبال المرضى على المصحة.

ومن الانصاف للواقع أن لا يلومنا أحد على أننا بدأنا قبول المرضى قبل إعداد المصحة تماما، فان شعور الرفق بالمرضى المساكين هو الذى دفعنا الى ذلك وحفزنا الى مضاعفة جهودنا، وقد بذلت لنا وزارة الأوقاف كل معونة ممكنة.

وعلى الرغم من بذلنا كل هذه الجهود، هاجمت بعض الجرائد مشروع المصحة وانتقدته انتقاداً مراً، ولم نكن نرى أى مسوغ معقول لهذا التجريح الظالم، ونعتقد أنه كانت هناك دوافع سياسية من وراء هذا الهجوم.

وفى ابريل سنة ١٩٢٧ عينت وزارة الأوقاف الدكتور عبد الرءوف حسن وكيلا للمصحة، فجاءنا يضيف جهده إلى جهودنا، ويحمل معنا نصيبه من الأعباء.

وفى مايو سنة ١٩٢٧ التحق الدكتور اسماعيل شكرى طبيب امتياز بالمصحة، بعد أن انتهى من دراسة الطب بجامعة ستراسبورج بفرنسا.

وفى يونية سنة ١٩٢٧ كان الصيف قد أقبل بقيظه، وكان من حق أن أستريح بعد كل ما بذلت من جهود مضنية، فسافرت إلى سويسرا وتركت المصحة الحديثة العهد للدكتور عبد الرءوف وكيلى». (انتهى حديث الدكتور برناند)

ولا تعقيب لى على هذه الصورة التى رسمها الدكتور برناند بلغته السلسة وتصويره الصادق ، فهى واضحة الدلالة مليئة بالعبر .

وقد بدأتْ صلتى بالمصحة بصفة غير رسمية فى ٥ يناير سنة ١٩٢٧ (١) حين رشحتنى وزارة الأوقاف لمنصب وكيل المصحة ، حتى ابريل حين تسلمتُ العمل رسمياً ، وقد شهدتُ عن قرب كفاح الأبطال الذى صوره الدكتور برناند ، ثم انخرطت فى الصفوف ، وخضت غمار الحوادث ، وجرفنى تيارها وصدمتنى أمواجها وذقت طعم الكفاح المرير ؛ وعشت لأروى للناس بقية القصة بعد كل هذه السنين .

٥ — الصيف الأول العصيب

ولا مبالغة مطلقاً فى استخدام هذا التعبير ، إذ يُعجزنى أن أجد عبارة أخرى تؤدى المعنى الذى أرمى إلى تصويره وتوكيده .

لقد نجح الكبار — الدكتور برناند ، وولاة الأمر فى وزارة الأوقاف — بجهدهم الرائع البديع فى أن يخلقوا نواة المصحة ، على الوجه الذى أسلفنا ذكره .

ولكن كان مذخوراً لى فى طوايا الغيب — أنا الطبيب الناشىء المغمور — أن أستهدف فى صيف المصحة الأول لصعاب كثيرة أخرى من نوع جديد تتزاحم ذكرياتها فى خاطرى الآن ، وسأحاول تصوير بعضها فى إيجاز على سبيل العبرة والذكرى .

كان الجناح الشرقى — وهو جزء المصحة الأكبر — لايزال مهجوراً خرباً ، وكنت أعيش فى أحد غرف الجناح الغربى بين المرضى . وكان زميلى ومساعدى

---

(١) يراجع عدد جريدة السياسة بتاريخ ٥ يناير سنة ١٩٢٧

الوحيد الدكتور اسماعيل شكرى، يشغل حجرة فى بناء متطرف منعزل يطل على الجبل، وغادرت المصحة يوماً إلى القاهرة، ولما عدت فى المساء وجدت زميلى يطل من أحد نوافذ المصحة يرتقب عودتى، وقد استقبلنى وعلى وجهه أمارات الهلع والخوف الشديد. وسألته فى لهفة عما جرى فقال جاداً:

« لا ياسيدى؛ إن حياتى غالية علىّ؛ لقد وجدت عقربا فى غرفتى، فانظر ما أنت صانع بى، فلن أبيت فى هذه الغرفة التى تأوى إليها العقارب . . . »

وكان علىّ أن أجد حلا يرضى زميلى ويهدىء من روعه، لئلا يترك المصحة فأمسى وحيداً بغير زميل أو رفيق أو نصير فى هذا المكان الصحراوى الموحش، الذى لم يكن بعد قد أصبح عامراً زاخراً بالحياة والحركة كما هو الآن، فقد كان المارة يتحاشون الاقتراب من أبنية المصحة خشية العدوى، وكان مكان الحديقة اليابانية البديعة الحالية أرضاً جرداء لا ماء فيها ولا شجر.. والهدوء يغمر المكان حين يقبل الليل موحشا، لا تتجاوب فيه غير أصداء سعال المرضى الجاف ينبعث خلال شرفات المرضى بين آن وآخر، ليصل إلى أذنى المرهفة المنصتة، تحاول أن تحدد مبعث الصوت ومصدره، وتعلل أسبابه وتعين أصحابه . . .

وما غادر الدكتور برناند المصحة فى أواخر يونيه حتى تلاحقت المتاعب على وتتابعت، حتى كأنها كانت معى على ميعاد . . .

كانت أعسر المشاكل التى تلوح فوق الأفق وتتراءى لعيوننا معضلة رهيبة، هى ماذا سيحدث للمرضى أثناء قيظ حلوان؟ وأرجف المرجفون وتحدث العارفون !! بأن المرضى سينزفون حتما.

وسئل الدكتور برناند عن رأيه، فأجاب فى تواضع العلماء، إنه لا يدرى،

ولكن الموضوع يستحق الدراسة قبل إمكان إعطاء جواب حاسم .

وكان علىّ أن أحمل عبء هذه التجربة الحاسمة فى حياة المصحة ومستقبلها ؛ وقبلتُ هذه المهمة الشاقة العسيرة دون تردد ، بل بتطلع وشوق وارتقاب . . .

ولكن الكثيرين من المرضى ؛ حين علموا بسفر الدكتور برناند ، بادروا إلى ترك المصحه خوفاً من النزيف الرئوى ، وذهبت كل جهودى فى محاولة إقناعهم بالبقاء أدراج الرياح . . . ولم يبق بالمصحة سوى من عجزوا عن تركها لأسباب قاهرة . . .

وكان عدد مرضى المصحة عند سفر الدكتور برناند ٩٤ مريضاً ومريضة ، وجدهم عند عودته ٧٧ فقط .

وفى أوائل الأيام التى توليت فيها إدارة المصحة نيابة عن الدكتور برناند كنت أسير بين المرضى مع زميلى الوحيد ، الدكتور اسماعيل شكرى ، وأنا ألمح على وجوههم وفى نظراتهم تساؤلا مبهما ، هو مزيج من عدم الثقة ومن الاحتجاج الصامت على ما كان يبدو علىّ من حداثة السن فى ذلك الحين .

وهاجمتنى جريدة الكشكول ظالمة ، ولكنى وجدت من ولاة الأمر فى وزارة الأوقاف ومن حضرة صاحب المعالى محمد نجيب الغرابلى باشا وزيرها فى ذلك الحين ، إنصافاً وتقديراً أعادا إلى من هدوء النفس ما كان يعوزنى فى تلك الأيام العصيبة من حياتى . . .

وبالرغم من هذه المتاعب ومن المشاكل الادارية التى كان علىّ أن أجد لها حلولا سريعة حاسمة لاتحتمل الإرجاء والتسويف ، قاومت اعبائى المرهقة بعناد ، واستنجدت بروح الشاعر الذى يسعفه الخيال حين يصدمه الواقع الكريه ، وكنت أنفرد فى الحديقة ليلا أقرض الشعر هوايتى المختارة ، أطرد به أشباح الوحدة ودواعى اليأس .

ولقد كان حضرة «الدكتور اسماعيل شكرى» بخلقه السلس الوديع، ووفائه النادر وإخلاصه القلبي، أكبر معين لى فى هذه الأيام العصيبة التى عشناها معاً نرقب ونسجل، ونتتبع حالة المرضى ونرصد ما نشاهده فى عناية ودقة.

وإنى لأعد هـذا الصيف أحفل فترة مرت فى حياتى العملية بالتجارب؛ وأعمقها أثراً فى تكوينى وإعدادى من كل الوجوه، بل أعتبرها فترة امتحان عسير كان علىّ أن اجتازه بنجاح أو أغير مجرى حياتى العملية وأوجهها وجهة أخرى، إذا قدّر لى أن أتخاذل أو أضعف أو أتردد فى احتمال التبعة التى ألقيت على عاتقى.

ومرت التجربة بسلام، واستطعت أن أقدم لجناب الدكتور برناند، حين عاد فى سبتمبر سنة ١٩٢٧: تقريراً شاملا دقيقاً عن حالة المرضى فى أثناء الصيف تبين منه بجلاء أن المخاوف التى أثارها المرجفون حول أثر جو حلوان الضار فى أثناء شهور الصيف أوهام لا سند لها من الواقع.

واستطاع جنابه، بعد أن راجع المشاهدات الاكلينيكية التى جُمعت: أن يطمئن وزارة الأوقاف على مستقبل المصحة، وأن يسجل ذلك فى تقرير رسمى رفعه إلى وزير الأوقاف.

وسنعود إلى توكيد هذه المشاهدات فيما بعد، حين نستعرض خبرة السنوات الثلاث الأولى من حياة المصحة؛ إذ كانت خبرة هذا الصيف بداية دراسة علمية نشرت نتائجها النهائية بعد أن أيدتها التجارب المتكررة والمشاهدات المتزايدة على مر السنين...

وقد انضم إلى أسرة المصحة المصرية، حضرة «الدكتور محمود العشرى»(١)

(١) وحضرته يتولى الآن منصب مدير قسم الأمراض الصدرية بوزارة الصحة، والمصحة وحدة من وحدات هذا القسم.

فى ٢٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧ طبيب امتياز ، بعد أن انتهى من دراسة الطب فى جامعة برلين ، فأصبحنا ثلاثة أطباء مصريين تتقارب أعمارنا ، ويجمعنا رباط وثيق من الإخاء والتعاون ، والتفرغ التام لخدمة هذه المصحة الناشئة التى مزجنا شبابنا بشبابها مغتبطين هانئين .

وفى الشتاء التالى بدأ الجهد يثمر ، وازداد إقبال المرضى على المصحة ، وبدت النتائج العلاجية مشجعة بعد أن عملت بالمصحة أول عمليات الاستروا الصدرى التى أجريت فى مصر « Artificial Pneumothorax » ، وكان علاجا لا يزال فى ذلك الحين مستحدثاً غير شائع الاستعمال ، لا يمارسه غير أساطين المهنة فى أوروبا ، ويعد الدكتور برناند من أوائل الروّاد العالميين فى هذا الميدان .

كما انتهز الدكتور برناند زيارة الاستاذ بيرار (Prof. Berard) لمصر وهو من أشهر جراحى فرنسا ، فأجرى لمريضة بالمصحة أول عملية نتف العصب « Phrenic Evulsion » وأول عملية قص الأضلاع « Thoracoplasty » كما بدىء باستعمال جميع العلاجات الحديثة التى يعالج بها مرضى المصحات بسويسرا .

وأخيراً استقر الرأى على تحديد يوم لافتتاح المصحة رسمياً ، بعد أن انتظم العمل بها واستكملت بعض ما كان ينقصها من مهمات وأجهزة ، لتبدو جديرة بأن يزورها المليك العبقرى الذى أنشأها ورعاها ، « حضرة صاحب الجلالة المغفور له فؤاد الأول » .

ويعد يوم ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨ - يوم تشريف جلالته لها بالزيارة رسمياً - أحفل أيامها بالذكريات وأبقاها على الزمن .

٦ — افتتاح المصحة الرسمى

فى يوم الأحد ١٩ فبراير سنة ١٩٢٨، أقيم احتفال فخم فى حلوان شرفه حضرة صاحب الجلالة المغفورله الملك فؤاد الأول، ورجال الدولة والأعيان والأطباء، لافتتاح المصحة رسميا .

وإنى لأذكر بهذه المناسبة ، أن جلالته تفقّد المصحة بدقة ، وكان بادى السرور والاغتباط بنجاح المشروع الذى فكر فيه وأمر بتنفيذه رغم معارضة الكثيرين له ، وأثبت الواقع أن جلالته كان على صواب تماما.

وقد قامت الصحافة بنصيبها المشكور ، وانتهزتْ هذه الفرصة المواتية للحديث عن حلوان ، وعن انتشار السل فى مصر ، وعن توجيه الرأى العام توجيها سديداً ، مما أخفت أصوات المعارضين للمصحة والناقدين لها ؛ فلم نسمع صدى لأصواتهم ، فقد كانت الحقائق الواقعة أقوى منطقاً وأعلى صوتاً من الأقوال . .

وقد ألقى حضرة صاحب المعالى محمد نجيب الغرابلى باشا وزير الأوقاف بين يدى المليك خطاباً تاريخياً ، رأينا إثباته هنا لطرافة ما حواه ، وها هو ذا نص الخطاب :

« مولاى صاحب الجلالة :

أرجو أن تسمح لى جلالتكم بتقديم صادق الشكر على هذا التفضل العالى بتشريف ذاتكم الكريمة حفلتنا الرسمية لافتتاح مصحة فؤاد .

وليست هذه الخطوة يا مولاى إلا حلقة مباركة من سلسلة حلقات التجديد الذى تشرفون عليه من قرب فى عهد ملككم الزاهر .

وإنى أبادر فأصرح بأن هذه المصحة التى هى الأولى من نوعها فى القطر المصرى ما هى إلا ثمرة من ثمرات نصائحكم الغالية . فقد كانت البلاد محرومة إلى سنة ١٩٢٤ من المستشفيات المعدة لعلاج التدرن الرئوى ؛ على ما بها من حاجة شديدة إلى تلك المستشفيات ، صيانة للصحة العامة من فتك هذا الداء الوبيل ، فى حين أن جو بلادنا صالح كل الصلاحية لهذه المعالجة خصوصاً مدينة حلوان التى ثبت أن جوها يفضل فى ذلك جميع الأجواء .

فاقتضت مراحم جلالتكم رأفة بشعبكم الكريم أن تنشأ مصحة كبرى لهذا الغرض يجد فيها المصابون بالتدرن الرئوى وسائل النجاة ، ويهرعون إليها فراراً من قدر الله إلى قدر الله ، وهم بذلك لا ينقذون أنفسهم فقط ، بل ينقذون فى الوقت نفسه أرواحا عديدة من أفراد أسرهم الذين لا مندوحة لهم عن الاختلاط بهم إذا لبثوا مهملين فى منازلهم كما أنهم يحفظون أيضا حياة عشرات الألوف من الأشخاص المعرضين لعدوى هذا المرض الفاتك .

وما تجلت هذه الرغبة الشريفة حتى بادرت وزارة الأوقاف فى مارس سنة ١٩٢٤ فاشترت «فندق الحياة» بحلوان ، وخصصته لهذا الغرض ، وأطلقت عليه اسم جلالتكم تيمنا واعترافا بفضل هذا الإلهام السامى .

والمصحة قائمة على ربوة فى الطرف الشمالى الشرقى لمدينة حلوان ، وتبلغ مساحة أرضها ٥٧٦٠٠ متر مربع ، ومبانيها تشغل مساحة قدرها ٣٩٦٠٠ متر مربع ، وهى تشتمل على جناحين كبيرين أحدهما فى الجهة البحرية والآخر فى الجهة القبلية ، مكون كل منهما من أربع طبقات عدا الملحقات ، ويفصلهما فضاء متسع فيه متنزه صغير للمصحة ، وقد اشترتها الوزارة بمبلغ ٢٥٠٠٠ جنيه أرضا وبناء .

ومنعا من ضياع الوقت رأت الوزارة أن تبدأ بإعداد الجناح البحرى أولا فأدخلت عليه الاصلاحات الضرورية ، وجهزته بما يحتاج إليه من الآلات والأثاث . وهذا الجناح قسمان، أحدهما وهو الشرقى للرجال والآخر للسيدات. ويوجد بالجناح المذكور ١٣٥ سريراً منها خمسة وعشرون للدرجة الأولى وأربعون للدرجة الثانية وسبعون للدرجة الثالثة .

ومرضى الدرجة الثالثة هم الذين تقوم وزارة الأوقاف على خدمتهم وتغذيتهم وعلاجهم مجانا . أما مرضى الدرجة الثانية فيدفعون أجراً بسيطا روعى فيه الرفق بحالهم والمساعدة لهم. فى حين أن مرضى الدرجة الأولى يدفعون أجراً لا يكاد يتجاوز تكاليف الغذاء والخدمة ، إذ المعلوم أن مصحة فؤاد ليست عملا تجاريا وإنما هى عمل إنسانى لا تختص به طبقة دون أخرى .

وعنيت الوزارة باختيار أحد كبار المتخصصين فى علاج التدرن الرئوى لإدارة المصحة ، ووفقت فى سبتمبر سنة ١٩٢٦ إلى التعاقد مع الأستاذ الشهير الدكتور رينيه برناند لمدة ثلاث سنوات، وهو حجة فى أمراض التدرن الرئوى، وله منزلة رفيعة وشهرة ذائعة فى عالم الطب .

ويعاون الدكتور رينيه برناند أربعة من الأطباء هم : الدكتور عبدالرءوف حسن والدكتور إسماعيل شكرى والدكتور محمود العشرى والدكتور بانشو طبيب الأشعة ، ومعهم عدد من الممرضين والممرضات اللاتى مارسن هذه المهنة زمنا طويلا ، واكتسبن بذلك خبرة عملية لا غنى عنها .

وبدأ قبول المرضى بالمصحة فى ٩ أكتوبر سنة ١٩٢٦ تيمنا بعيد جلوس جلالتكم على عرشكم المفدى ، ولم نكن قد انتهينا بعد من عملية الترميم والتأثيث وقبل أن يتكامل عدد الموظفين وما يتطلبه العمل من معدات .

ولقد دعانا إلى نهج هذا السبيل الواجب الإنسانى ؛ فمرضى التدرن الرئوى عديدون فى مصر، وما نمى إليهم قيام الوزارة بهذا المشروع المفيد حتى انسلوا إليها من كل حدب ، وكان من العسير إيصاد باب المصحة فى وجوههم ، وبات لزاما علينا أن نسخر لخدمة من نستطيع قبوله منهم كل ما بأيدينا من معدات محدودة .

ولا يخامرنا أى ندم على اتباع هذه الطريقة بالرغم مما سببته من متاعب للقائمين بأمر المصحة ، لأنها مكنتنا من تقديم المعونة إلى عدد كبير من المرضى بل من إنقاذ حياة الكثيرين منهم .

وبلغ عدد الذين دخلوا المصحة من تاريخ قبول المرضى بها لغاية الآن ٤٥١ مريضا ، وهذا العدد ليس بالقليل إذا لوحظ أن أمراض الصدر تحتاج فى شفائها إلى الزمن ؛ إذ يلزم لعلاج المريض فى الأحوال التى لا تكون شديدة الخطورة مدة تتراوح بين سبعة وعشرة شهور ، وفى بعض الأحيان يمكث المريض بالمصحة من ١٢ إلى ١٨ شهراً إذا كانت الاصابة أكثر خطورة.

وقد زاد الإقبال على المصحة زيادة كبيرة حتى بلغت طلبات الدخول التى لم تمكن إجابتها لعدم وجود المكان ٢٤١ طلبا للدرجة الثالثة و ٤٠ للدرجتين الأولى والثانية .

وإنى أعتقد أن المصحة قد اكتسبت ثقة جانب كبير من الجمهور المصرى، وسيعمل المرضى الذين يعودون إلى أهليهم بعد تمام شفائهم على إنماء هذه الثقة ؛ فان النتائج الطبية للعلاج بالمصحة قد فاقت كل ما كنا نؤمله، وهى أوجب للرضى فى حالات التدرن فى الأدوار الأولى ، فإن ٨٣ ٪ من هذه الحالات كان العلاج فيها ناجعا . أما المرضى فى الدور الثانى فقد نجح العلاج فى ٦٠ ٪ منهم

يقابل ذلك ٢٦ ٪ فقط ممن كانوا فى الدور الأخير من أدوار المرض . وهى نتائج قابلة دائما للتحسن .

والمصحة هى فى الوقت نفسه مدرسة يتعلم فيها المرضى كيف يقومون بالاحتياطات الصحية اللازمة ، وبذلك لا يحدث منهم خطر على الآخرين ، وبنوع خاص على الأطفال . لذلك عنيت المصحة بتلقينهم التعاليم الصحية العملية وتفهيمهم أن التدرن يتبع فى سيره طريقة خاصة ، وأنه لا يمكن شفاؤه بفعل الأدوية الساحرة بعد تناول مقادير خاصة منها ؛ بل إن شفاءه يتم بالصبر وتعود النظام . والتعاليم الصحية العملية التى يتلقاها المرضى لا تقل فى الاهمية عن شفائهم بالذات ، لأنهم يلقنونها لذويهم وللجمهور الذى يختلطون به بعد شفائهم ، وبهذه الطريقة تصبح المصحة عاملا من العوامل الفعالة فى إيقاف تيار مرض التدرن الرئوى فى مصر .

ومن الحقائق التى يدركها المرضى بالمصحة أن مرض التدرن الرئوى قابل للشفاء متى عولج علاجا منظما فى أول أدواره ، وأنه ليس مرضا وراثيا حتما بل يمكن مع اتخاذ بعض احتياطات سهلة التنفيذ منع انتقاله من الآباء إلى الأبناء .

ومما تهم معرفته حالات الشفاء الخاصة التى حصلنا عليها فى المصحة ؛ فقد تم شفاء عديدين من المرضى المصابين بإصابات خفيفة أو متوسطة الخطورة فى مدة تتراوح بين السبعة والعشرة شهور بحالة تماثل فى سرعتها وتمام نجاحها ما يحدث بالضبط فى مصحات أوربا .

وفى الواقع فانه إلى جانب تأثير الجو الجميل النادر المثال ، تطبق فى المصحة أحدث طرق العلاج ، وخصوصا العلاج بالعمليات ، وأكثر المرضى بالحمى

الدرنية تنخفض درجة حرارتهم تحت تأثير الراحة وجودة الجو فى الأسابيع الأولى من العلاج .

وقد شوهد ازدياد الوزن بين المرضى مطرداً وسريعاً حيث وصلت الزيادة فى بعض الحالات إلى ١٥ بل إلى ٢٠ كيلوجرام فى مدة لاتتجاوز أربعة أشهر .

وقد أقنعتنا النتائج العامة للعلاج بأن جو حلوان لايضارع فى شفاء التدرن الرئوى، وأن اختيار هذه البقعة لإنشاء المصحة كان اختياراً موفقاً تمام التوفيق .

وكان البعض يظن أننا سنواجه مشكلة خطيرة فى أوائل الصيف وأن المضاعفات ستصيب معظم مرضانا حتما من جراء الاحتقانات كارتفاع الحمى والنزيف الرئوى وما إليهما . ألا أنه يسرنى أن أقرر بأنه لم يتحقق لحسن الحظ شىء من هذه التنبؤات ولم تؤثر حرارة الجو الشديدة فى صيف العام الماضى على اطراد الشفاء نظراً لأن نسيم الصحراء جعل الليالى فى حلوان محتملة والجو إلى حد ما منعشاً بحيث حضلنا فى شهور الصيف على نسبة تماثل تقريباً ماحصلنا عليه من حالات التحسن أو الشفاء أثناء الشتاء .

وقد رأت الوزارة لزيادة انتفاع المرضى بمواهب جناب مدير المصحة أن لاتضن بالترخيص له بعمل عيادات خارجيـــة لمن يرغبون فى استشارته وبلغت هذه العيادات لغاية الآن ٨٠٦

« مولاى :

لقد شجعنا نجاح الخطوة الأولى التى خطتها المصحة فى ضوء نصائحكم العالية وبحسن تعضيد البرلمان على إتباعها بأختها . وسيهيأ الجناح القبلى قريباً لقبول المرضى ويكون مخصصاً لمرضى الدرجة الثالثة . وبذلك يكون مجموع الأسر

بالمصحة ٣٣٥ سريراً ، وأدرجت المبالغ اللازمة لذلك فعلا فى ميزانية السنة الحالية وفى مشروع ميزانية السنة المقبلة . وبذلك يكون مجموع نفقات إعداد الجناحين ٢٧٤٧٨ جنيهاً . وليس هذا بالمبلغ الكبير فى جانب الفوائد الجمة التى تنجم عن هذا المشروع الخيرى لحفظ صحة الشعب . فالمصحات هى أمضى سلاح لمحاربة التدرن الرئوى ولذلك قامت جميع الدول الأوروبية تنفق عليها بسخاء . وقد أصدر مؤتمر الممالك ضد التدرن الرئوى المنعقد فى لوزان سنة ١٩٢٥ تقريراً جاء فيه أن الوفيات بمرض التدرن الرئوى قد نقصت بمقدار ٥٠ فى المائة فى الممالك التى يعالج فيها بواسطة المصحات التى تسير على الطرق الصحية .

ومصحة فؤاد هى بمثابة الطليعة فى المؤسسات الصحية التى يجب إنشاؤها لتقصى هذا الداء واستئصاله فى القطر المصرى .

والأمل وطيد يامولاى فى أن نتبع هذه الخطوة خطوات أخرى موفقة إن شاء الله لإعلاء شأن هذه المصحة وتوسيع دائرة أعمالها حتى يكون أثرها فى صيانة الصحة العمومية أعمق وأنفع وأعم فى ظل حكمكم الدستورى السعيد الحافل بأنواع الخيرات والذى يؤتى كل يوم أبرك الثمرات .

وفى الختام لايسعنى يامولاى إلا أن أبتهل إلى الله العلى القدير أن يثبت عرشك ويصون ملكك ويطيل عمرك وأن يلحظ بعنايته الإلهية حضرة صاحب السمو الملكى ولى عهد المملكة المصرية الأمير فاروق .

لازالت خطواتك يامولاى لمواساة الرعية مواسم ، وأيامك الغر بشمس التجديد بواسم » (انتهى نص خطاب معالى الوزير) .

وتابعت المصحة أعمالها بعد الافتتاح الرسمى فى نشاط ، واطرد نموها ، وزاد عدد مرضاها ، وتزاحم المرضى على أبوابها يلتمسون الدخول فلا يستطاع تلبية طلباتهم لعدم وجود أمكنة كافية للعدد المتزايد من المرضى المنتظرين.

وقبيل سفر جناب الدكتور برناند بالأجازة الصيفية قام بسعى مثمر لدي أصدقائه العاملين فى ميدان كفاح السل فى الخارج ، ونجح فى أن تقبل مصر عضواً فى الاتحاد الدولى لكفاح السل ومقره باريس ، وهى أول مرة تشترك فيها مصر فى هذا الميدان الدولى .

وبمناسبة انعقاد المؤتمر الدولى السادس لكفاح السل بروما فى سبتمبر سنة ١٩٢٨ اقترح جنابه تمثيل مصر فيه ، فوافقت الحكومة المصرية على أن أشهد هذا المؤتمر مع جنابه مندوبين رسميين عن مصر . وسأتحدث عن ذكريات هذا المؤتمر فيما بعد .

وسافر جنابه فى آخر يونيه سنة ١٩٢٨ بالإجازة على أن ألقاه فى روما فى سبتمبر ، وترك المصحة تحت إشرافى فى صيفها الثانى ...

وكانت المصحة قد ألفتنى وألفتها ، ووثقت الأيام ما بينى وبين المرضى من أواصر المودة والتفاهم ، وشعرتُ بالفارق الهائل بين موقفى من المرضى خلال الصيف الأول وبين ما غمرونى به من ثقة خلال الصيف الثانى ، وشهدتُ حفلة وداع جناب الدكتور برناند قبل قيامه بالإجازة ، فأثر فى نفسى أبلغ تأثير ما بدا من المرضى من دلائل المودة وعرفان الجميل فأقبلت على عملى بالمصحة خلال هذا الصيف منذ اللحظة الأولى عامر القلب بالإيمان بفضل الله ، مطمئن النفس هادئ البال ، بالغ الحماسة ، موفور النشاط ، يعاونى زميلاى حضرة الدكتور

إسماعيل شكرى وحضرة الدكتور محمود العشرى ، معاونة قلبية سداها المودة ولحمتها الاخلاص .

واستطاعت المصحة لأول مرة أن تتابع نشاطها فى أثناء الصيف كاملا ولم ينقص عدد مرضاها بل زاد فعلا ، وهى ظاهرة تستوقف النظر وتستحق التسجيل . وفى الرسم البيانى التالى مايوضح هذه الملاحظة أبلغ توضيح خلال سنوات المصحة الثلاث الأولى :

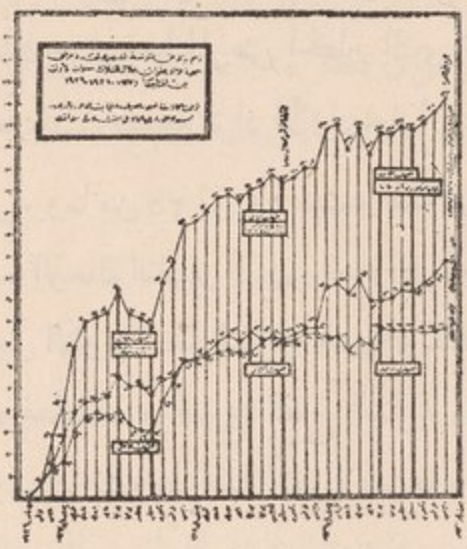

رسم بيانى عن عدد أسرة المصحة خلال السنوات الثلاث الأولى

وفى أواخر سبتمبر سنة ١٩٢٨ تركت المصحة وديعة بين يدى زميلىّ الدكتور اسماعيل شكرى والدكتور محمود العشرى ، وسافرت إلى روما لشهود المؤتمر الدولى السادس لكفاح السل على أن يعود جناب الدكتور برناند بعد انتهاء المؤتمر مباشرة فى الأسبوع الأول من شهر أكتوبر التالى .

٧ — أول مؤتمر دولى لكفاح السل تمثل فيه مصر

أن انضمام مصر إلى عضوية الاتحاد الدولى لكفاح السل ، ومقره المركزى باريس ، يعد بحق جهداً من جهود مصحة فؤاد الأول بحلوان ، وفضلا يسجل بالحمد لمديرها الأول جناب الدكتور برناند ، إذ لولا وجود المصحة ، ولولا مابذله مديرها من مسعى شخصى لدى المشرفين على هذا الاتحاد لما استطاعت مصر أن تنتظم فى زمرة الأمم التى تعنى بكفاح السل ، وتعقد المؤتمرات لتبادل الآراء ، ونشر الأبحاث حول هذا المرض الخطير الذى خطت مصر أول خطوة عملية فى سبيل كفاحه بإنشاء مصحة فؤاد الأول بحلوان .

وقد عقد المؤتمر بروما من ٢٥ إلى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٨ ورأينا أن نسجل فى أحد ملحقات هذه الرسالة التقرير الذى رفعناه إلى معالى وزير الأوقاف بهذه المناسبة ، والملحق الأول لهذا التقرير وهو الرسالة التى قدمناها للمؤتمر وهما أول محاولة جدية لمعالجة موضوع كفاح السل فى مصر ، وقد أثبتناهما لما فيهما من معلومات تبدو طرافتها أشد وضوحا بعد أن مرت عليها كل هذه السنوات .

وهناك ملحق ثان ضاق نطاق هذه الرسالة الوجيزة عن نشره عن « أسس كفاح السل فى مصر »(١) سنشير إليه فيما بعد .

ولقد كان شهود هذا المؤتمر الدولى حادثاً هاماً فى حياتى العملية ، وجميلا اعترف به لوزارة الأوقاف ، إذ مكنتنى فى صدر شبابى من أن أتعرف إلى النخبة الممتازة من أساطين المهنة ، وأن أتصل بكثير منهم اتصالا شخصيا

(١) نشر هذا التقرير فى المجلة الطبية المصرية عدد نوفمبر سنة ١٩٢٩ .

مباشراً . وأضافت وزارة الأوقاف إلى فضلها السابق منة أخرى ، إذ منحتنى إجازة دراسية أقضيها فى أوروبا لألتمس من مغارف الغرب مايزيد معارفى ويضيف إلى تجاربى ويكمل إعدادى ، لأستطيع أن أتابع عملى بالمصحة أوسع أفقاً وأوثق تجربة .

وقد انتهزت هذه الفرصة فقمت بدراسة عملية لمشروعات كفاح السل فى فرنسا، وزرت عدداً كبيراً من معاهد العلاج بها، وتابعت دراسة جامعية عن السل فى استراسبورج . ولما عدت إلى مصر استخلصت من دراساتى رسالة عن عن « أسس كفاح السل فى مصر » ألحقتها بالتقريرات التى رفعناها إلى الحكومة المصرية عن مؤتمر روما . وقد كان هذا التقرير فاتحة دراسات أخرى حول هذا الموضوع نشرت فيما بعد . . .

وفى أكتوبر سنة ١٩٢٨ انضم إلى أطباء المصحة زميلان هما حضرة الدكتور محمود شريف (وكيل المصحة الحالى) بعد تخرجه من جامعة استراسبورج (فرنسا) وحضرة الدكتور عبد العزيز الشال (الطبيب بالمصحة الآن) بعد تخرجه من جامعة انسبروك (النمسا) ، وبهما أصبح مساعدو الدكتور برناند خمسة أطباء مصريين، وطبيب أشعة هو الدكتور بانشو (سويسرى) وبدأ العمل الفنى بالمصحة يؤتى ثماره ، وبدت المصحة معهداً جديراً بالآمال التى عقدت عليه عند إنشائه . ووجد الأطباء المصريون فى المصحة مدرسة عملية وميداناً فسيحاً لجهد مثمر يبذلونه فى سبيل بلادهم ، يقودهم أستاذ قدير موفور النشاط غزير الانتاج ، يعد بحق أروع مثال لما يجب أن يكون عليه مدير مصحة نموذجية علماً وخلقاً وإخلاصاً .

وفى هذه الفترة الغزيرة الإنتاج اكتملت عناصر أهم الابحاث التى صدرت عن المصحة فيما بعد .

وفى يوم ١٩/١٢/١٩٢٨ زار المصحة أعضاء المؤتمر الطبى الدولى الذى عقد بالقاهرة فى ذلك الحين ، وأقامت وزارة الأوقاف لهم حفلا تاريخيا جمع كثيراً من أساطين الطب فى الخارج، أذكر منهم السير روبرت فيليب أستاذ السل بجامعة أدنبره والرائد الأول فى إنشاء المستوصفات فى العالم ، والأستاذ بيزانسون أستاذ السل بجامعة باريس ، والأستاذ جونان عميد جامعة لوزان، وغيرهم من أصحاب الأسماء اللامعة فى أوربا. وقد كانت هذه المناسبة فرصة لإعلان هؤلاء الأعلام تقديرهم وإعجابهم بعمل المصحة الفنى ، ومدى النجاح الذى صادفه علاج السل فى حلوان ، بعد أن شهدوا بأعينهم آثاره ونتائجه الملموسة .

وقد تابع الدكتور برناند عمله بالمصحة إلى منتصف يونيه سنة ١٩٢٩ حين أزمع الرحيل نهائياً لظروف خاصة لم يستطع معها أن يطيل غيابه عن سويسرا. ولا أزال أذكر الوداع المؤثر التى ودعه به مرضى المصحة وأطباؤها جميعاً ، فقد عرفنا الرجل وزاملناه فأكبرناه وأحببناه . . .

والآن وقد مضت كل هذه السنوات أشعر بأن من أحب الواجبات إلى نفسى أن أسجل له هنا عرفاناً بالجميل ، هو صدى لما يجول فى نفوس جميع من أسعدهم الحظ بالاتصال به فى أثناء مقامه بمصر ، وفى خطاب التقديم المنشور فى صدر هذه الرسالة ما يكشف عن عمق الشعور الكريم الذى يحمله لمصر والمصريين .

وقد ترك جناب الدكتور برناند المصحة وبها ١٦٥ مريضاً ومريضة فى آخر يونيه سنة ١٩٢٩ كانوا يشغلون القسم الغربى من المصحة ، أما القسم الشرقى منها فقد ظل خاليا .

واستطعنا أن نتابع العمل فى أثناء الصيف وخلال الشتاء التالى ارتقاباً

لتعيين مدير سويسرى جديد ، رأت وزارة الأوقاف أن يتولى إدارة المصحة بعد مديرها السويسرى الأول . . .

وفى آخر ديسمبر سنة ١٩٢٩ جاء المدير السويسرى الثانى وبالمصحة ١٨٥ مريضاً ومريضة . . .

ولنا هنا وقفة قصيرة نستعرض فيها بإيجاز جهود المصحة فى سنواتها الثلاث الأولى ، إذ هى فى رأينا فترة التأسيس والتدعيم التى استطاعت خلالها أن تكتسب ثقة الجمهور وتقدير ولاة الأمر وأن تستمتع بشهرة فى مصر وفى الخارج هى رأس مال أمثالها من المعاهد .

٨ — استعراض وجيز لجهود المصحة فى سنواتها الثلاث الأولى

ظلت مصحة فؤاد الأول بحلوان خلال هذه السنوات الثلاث الأولى من حياتها معهداً فريد النوع ، يعالج مشكلة كفاح السل فى مصر لأول مرة علاجاً عملياً ، تبدو آثاره ونتائجه واضحة ملموسة لا سبيل إلى المكابرة فى أهميتها .

ويمكن تلخيص جهودها فيما يلى :

(أولا) الميدان الصحى الاجتماعى :

قدمت المصحة الدليل الحاسم على انتشار السل فى مصر ، واستطعنا أن نستخرج من سجلات المصحة بياناً عن مصدر الحالات التى عولجت بالمصحة تبين منه أن مصادر العدوى موجودة فى جميع أنحاء البلاد مدنها وريفها على السواء ، حتى الواحات جاءنا منها مرضى مصابون بالسل .

والرسم التوضيحى التالى يبرز هذه الحقيقة ويجلوها تماما : (١)

---

(١) عن رسالة « مشكلة السل فى مصر وارتباطها بالاصلاح الصحى العام » للمؤلف .

ونوقش موضوع انتشار السل فى مصر لأول مرة فى مؤتمر دولى ورفع لأول مرة أيضاً تقرير عن أسس كفاح السل فى مصر كان مقدمة لما تلاه من تقارير ومشروعات إصلاحية كثيرة أخذت الحكومات المتعاقبة تعمل جاهدة على وضعها موضع التنفيذ .

واستطعنا خلال هذه السنوات أن نثير اهتمام الرأى العام بموضوع انتشار السل فى مصر بمحاضرات عامة متعددة ، ألقيت فى قاعة يورت بالجامعة الأمريكية وفى مناسبات أخرى .

الشكل رقم « ٢ » يلاحظ أن مصادر العدوى بالسل ثبت وجودها فى كل مراكز القطر المصرى فى الريف والبنادر على السواء وفى الواحات أيضاً

ولعل أبلغ الدلائل على ما كان لانشاء مصحة فؤاد من أثر بعيد فى اقناع ولاة الأمر بمصلحة الصحة بأهمية كفاح السل فى مصر ، أن بدأت مصلحة الصحة تنشىء المستوصفات المتممة لأعمال المصحة ، فبدأت فى سنة ١٩٢٩ بانشاء مستوصفين أحدهما بالقاهرة (بولاق) والآخر بالمنصورة ، وأنشىء فى سنة ١٩٣٠ مستوصف ثالث بالقاهرة (المبتديان) ، وفى نفس العام وافق حضرة صاحب السعادة المرحوم محمد شاهين باشا على إيفاد أحد رجال مصلحة الصحة فى بعثة إلى انجلترا لدراسة السل، بعد أن كان سعادته فى أول العهد بانشاء مصحة فؤاد الأول لا يؤمن برسالتها .

ولقد وقع الاختيار على حضرة الدكتور محمود سليمان أباظه بك المفتش بقسم الأمراض المتوطنة فى ذلك الحين ليكون أول مبعوث من أطباء مصلحة الصحة إلى انجلترا لدراسة السل ، فسافر فى ١٣ ابريل سنة ١٩٣٠ وعاد فى ٢٩ يوليه سنة ١٩٣١ ليبدأ جهوده الموفقة فى الميدان الصحى الاجتماعى لكفاح السل فى مصر رائداً ممتازاً ، يمتد نشاطه إلى آفاق أبعد من أهداف المصحة المحصورة فى النواحى العلاجية ، فكان أول مدير لقسم الأمراض الصدرية بوزارة الصحة عند إنشائه فى سنة ١٩٣٦ .

وليست الناحية الصحية الاجتماعية من صميم واجبات المصحة ولا من أهدافها ، ولكنها اقتحمت هذا الميدان متطوعة ، حتى تولاه حضرة صاحب العزة الدكتور محمود سليمان أباظه بك ، وبذل فيه من الجهود المثمرة ما يبدو ثمره اليوم للعيان من معاهد للوقاية والعلاج تتزايد باطراد وتنتشر فى أنحاء البلاد وتقدم الاسعاف والمعونة لألوف المصدورين فى مصر .

(ثانيا) الميدان العلمى : امتازت هذه السنوات بإنتاج علمى مثمر ، إذ جمعت المصحة مشاهدات إكلينيكية كثيرة كانت مادة خصبة للرسائل العلمية

التى صدرت عن المصحة خلال هذه السنوات وما بعدها .

وأهم ما استخلصته المصحة من تجاربها حقيقتان بارزتان تستحقان التسجيل هنا :

أولاهما ـ أن العلاج المصحى فى حلوان يوازى فى نتائجه أحسن مايمكن الحصول عليه فى المصحات السويسرية ، وذلك بناء على خبرة إخصائى قضى خمسة عشر عاماً يدير مصحة سويسرية بليزان قبل ان يجىء إلى حلوان .

ثانيهما ـ تبين من دراسة أثر حرارة الصيف على صحة مرضى الصدر أنها لاتعوق العلاج ولا تؤخره ، وأن المخاوف من النزيف الرئوى كانت وهمية لاترتكز على أساس علمى . والرسم البيانى التالى يوضح هذه الحقيقة بأجلى بيان (١)

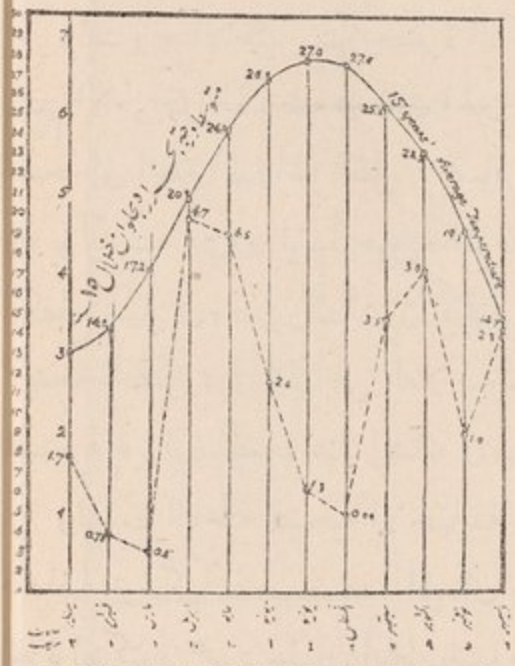

شكل بيانى يوضح نسبة حدوث النزيف الرئوى بين ٧٠٤ حالات عولجت بحلوان

(ثالثا) المصحة كمعهد تعليمى :

كانت المصحة فى هذه الفترة من حياتها معهداً تعليمياً لأطبائها المصريين الخمسة ، تولى الدكتور برناند تكوينهم من كل الوجوه ، بحيث تعد مصحة فؤاد مدرسة عملية لهم زاخرة بالمشاهدات والتجارب مما لاغنى عنه لاكتساب الخبرة والمرانة .

وإنى لأعتبر تكوين هذه الأسرة الطبية الصغيرة تحت رعاية عالم نابه كالدكتور برناند من أجل الخدمات التى أداها هذا الرجل المخلص لمصر والمصريين . . .

(١) نقلا عن رسالة « أثر الجو فى حدوث النزيف الرئوى بحلوان » للمؤلف بالانجليزية (مؤتمر القاهرة الدولى سنة ١٩٢٨)

٩ — تعريف بجناب الدكتور رينيه برناند

أول مدير سويسرى لمصحة فؤاد الأول

قبل أن يتقلد هذا المنصب(١)

وُلد الدكتور رينيه برناند فى فرساى (فرنسا) فى ٩ يونيه سنة ١٨٨٢ - أى أنه كان فى بدء عامه الخامس والأربعين حين تولى إدارة مصحة فؤاد .

وقد أمضى دراسته الثانوية فى مونپلييه .

فى سنة ١٩٠٥ حصل على دكتوراه الطب من جامعة مونپلييه .

« « ١٩٠٦ « « دبلوم الطب السويسرية من چنيف .

« « ١٩٠٨ طبيب امتياز بمستشفيات چنيف .

« « ١٩٠٨ — ١٩١١ وكيلا لمصحات بليزان (*Leysin*)

« « ١٩١١ — ١٩٢٦ مديراً للمصحة الشعبية بليزان .

« « ١٩٢٦ مديراً لمصحة فؤاد بحلوان .

مؤلفاته الأدبية : ثلاثة مؤلفات ، أحدها ترجمة لحياة والده المصور السويسرى الشهير « يوچين برناند » .

مؤلفاته العلمية : كتابان علميان عن السل .

رسائله العلمية : بلغت ٩٦ رسالة فى مختلف الأبحاث الطبية حول السل .

---

(١) عن نشرة مطبوعة .

رسائل دكتوراه قدمها تلاميذه : ست رسائل كلها تتناول موضوع السل .

والدكتور برناند يتميّز بأسلوب واضح سلس فى كل مايكتب ، وهو يجمع بين اقتدار الأديب الفنان وتبحر العالم المتمكن فى اختصاصه ، الذى اشتهر به فى أوروبا شهرة واسعة بين جميع المشتغلين بموضوع السل .

١٠ — المدير السويسرى الثانى

دكتور إريك زيمرلى

كان بودى أن أسجل فى هذه الرسالة ظروف اختيار جنابه مديراً للمصحة ، كما فعلت عند ما تحدثت عن الدكتور برناند ، وأن أورد لمحة عن حياته ؛ ولكن سجلات المصحة خالية تماماً من أية وثائق أو تقارير يمكن الاسترشاد بها لسد هذا الفراغ ؛ وقد اعتذر جنابه عن المساهمة فى هذه الرسالة التذكارية لاستكمال هذا النقص .

وكل ما أستطيع ذكره عن جنابه ، اعتماداً على الذاكرة فقط ، أنه كان حين تولى إدارة المصحة شاباً يجاوز الثلاثين من عمره بسنوات قلائل ، وقد حصل على دكتوراه الطب من جامعة بال (Basel- Suisse) ودبلوم الاتحاد السويسرى ، ثم سافر الى انجلترا فحصل على إجازة الطب الانجليزية ، ومارس مهنته فى مصحات سويسرا إلى إن وصل إلى منصب وكيل أحد مصحات أروزا (Arosa) حين اختارته وزارة الأوقاف فى يناير سنة ١٩٣٠ ليَلى منصب مدير مصحة فؤاد بحلوان . وقد بذل جنابه أقصى ما استطاع فى إدارة المصحة ثلاث سنوات ، تخلى بعدها عن العمل باختياره فى ديسمبر سنة ١٩٣٢ .

١١ — استعراض وجيز لحالة المصحة

أثناء الثلاث السنوات الثانية

لم يُقدّم جناب الدكتور زيمرلى أثناء توليه إدارة المصحة أية تقارير سنوية
ن المصحة لوزارة الأوقاف يمكن الرجوع إليها فى الوقت الحاضر .

ولكن الرسم البيانى التالى يوضح نمو المصحة فى هذه الفترة من حياتها ،
قد أشير إلى الفترة التى نتحدث عنها بخط أفقى مزدوج .

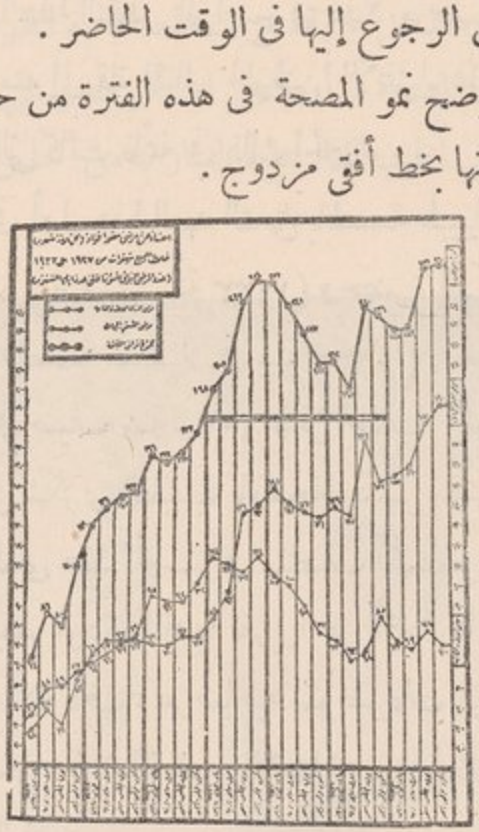

الشكل رقم (٤) يبين نمو المصحة التدريجى خلال ست سنوات من الادارة السويسرية والسنة الأولى من الادارة المصرية ، وقد أشير إلى السنوات الثلاث الثانية بخط أفقى مزدوج

ويلاحظ أن المصحة تابعت نموها خلال السنة الأولى فبلغ متوسط عدد
رضاها فى أول عام ١٩٣٠ : ١٩٨ مريضاً ومريضة ، زاد فى نهاية العام الأول
لى ٢٥٤ مريضاً ومريضة .

ثم هبط هذا المتوسط فى السنة الثانية كلها وشتاء السنة الثالثة ، حتى عاد
لى المتوســـط الذى بدأت المصحة به فى أولى هذه السنوات فى آخر يونية

«ملحق تاريخى»

ملاحظة :ـ لقد أثبتنا هذا التقرير هنا لقيمته التاريخيـــة ، إذ فيه تسجيل لبدء كفاح السل فى مصر .

التقريرات المرفوعة الى الحكومة المصرية

عن

المؤتمر السادس للاتحـــاد الدولى

ضد الســـــل

الذى عقد بروما من ٢٥ إلى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٨

من مندوبى مصر

الدكتور
زينيه برنار
مدير مصحة فؤاد بحلوان

و

الدكتور
عبد الرءوف حسن
وكيل مصحة فؤاد بحلوان

التقرير المرفوع

الى حضرة صاحب المعالى وزير الاوقاف

يا صاحب المعالى :—

نتشرف بأن نرفع لمعاليكم تقريرنا عن المؤتمر السادس للاتحاد الدولى ضد السل الذى عقد بروما من ٢٥ الى ٢٩ سبتمبر سنة ١٩٢٨ ، والذى تفضلتم معاليكم بانتدابنا لتمثيل المملكة المصرية فيه .

ولقد أحرز هذا المؤتمر نجاحاً باهراً ، إذ عُقدت جلسته الافتتاحية بالكابيتول تحت رئاسة السنيور موسولينى رئيس الوزارة الايطالية وبحضور أعضاء من العائلة المالكة

ولقد أعلن قبول المملكة المصرية عضواً فى الاتحاد الدولى ضد السل فى جلساته وقوبل ذلك بالارتياح الكبير . كما انتخب ممثلا مصر فى المؤتمر عضوين مستشارين فى هذا الاتحاد . ولقد قوبل الممثلون المصريون بالحفاوة فى ايطاليا وقُدم أحدهما شخصياً الى السنيور موسولينى .

ولقد أحاطهما حضرة صاحب السعادة وزير مصر المفوض بروما بكل صنوف الرعاية والحفاوة ولاقاهما موظفو المفوضية المصرية بروما أطيب لقاء .

ولقد ضَم مؤتمر روما نحو ١١٦٠ (ألف ومائة وستين) عضواً ينوبون عن أربع وأربعين أمة ويمثلون أكابر الاطباء المشتغلين بالسل والذين يعنون بالأبحاث العلمية عن هذا المرض فى أمم الأرض قاطبة .

والموضوعات التى عرضت على بساط المناقشة فى هذا المؤتمر كانت كما يلى :—

(١) جراثيم التدرن الرئوى التى تمر خلال مسام المرشحات (تقرير البروفسور كالميت)

(٢) تشخيص التدرن فى سن الطفولة (تقرير البرفوسور (ركّويما)

(٣) تنظيم الوقاية من السل فى المناطق الريفية (تقرير الدكتور وليم براند)

ولقد اشترك المندوبان المصريان فى مناقشة الموضوع الأخير بأن قدما تقريراً يبين ما قامت به الحكومة المصرية من الجهد فى سبيل درء خطر هذا المرض عن سكان القطر المصرى . ونتشرف بأن نرفق بهذا نص الرسالة التى قدمت فى هذا الموضوع (الملحق الأول) .

وعلاوة على جلسات المؤتمر العلمية قامت لجنة تنظيم المؤتمر بإعداد معرض يستطيع المرء أن يستطلع منه حالة الكفاح ضد السل فى بلاد عديدة .

ونرى حتما علينا أن نتشرف بأن ننقل هنا بضع معلومات مفيدة استقيناها أحياناً من ارتياد الجلسات العلمية وأحياناً أخرى من زيارة المعرض .

وتستطيع الحكومة المصرية وهى راغبة أكيد الرغبة فى محاربة انتشار هذا المرض أن تجد فى اختبارات الأمم الاخرى وتجاربها ما تقفو أثره .

وأهم ما نستخلصه من مؤتمر روما حقيقتان : —

(الأولى) أن الأنظمة التى قر الرأى على صلاحها فى كفاح السل (عُدّة الكفاح ضد السل) قد أثبت الواقع أهميتها ودل الاختبار على نجاحها . أو أنه كلما استعملت الدقة فى تطبيق هذه الأنظمة كانت نتائجها أكثر وضوحاً .

فلقد هبطت نسبة وفيات السل إلى ما يقرب من النصف خلال عشرين عاما فى الأمم التى ثابرت على اتباع هذه الأساليب .

(الثانية) أن المجهود الذى تبذله الحكومات والجهات غير الرسمية فى كفاح السل قد وصل فى كل الأمم المتمدينة إلى حد مدهش فى اتساع دائرته حتى أصبح اليوم معدودا من الواجبات المفروضة الأداء على الحكومات ويتضح ذلك جلياً من الاعتبارات الآتية : —

(١) تخصيص مبالغ طائلة فى ميزانيات الحكومات لكفاح السل .

(٢) إنشاء تشريع خاص بالسل واسع المدى فى أهميته .

ولزيادة إيضاح هاتين النقطتين نورد ما يلى من المعلومات :—

الاعتبار الأول : لقد كانت نسبة الوفيات بالسل بالدانمارك فى سنة ١٨٩٠ تبلغ ٣ر٣٠ لكل عشرة آلاف من السكان ، فهبطت هذه النسبة فى الوقت الحاضر إلى ٩ لكل عشرة آلاف من السكان .

ومنذ سنة ١٨٩٠ إلى سنة ١٩٢٢ قلت وفيات السل بنسبة ٨٥ ٪ فى الأطفال (أى هبطت إلى الربع) وبنسبة ٧٤ ٪ تقريباً فى الذكور البالغين (ما بين ٢٥ و ٤٤ سنة) وبنسبة ٦٠ ٪ فى الإناث البالغات .

أما فى اسكتلنده فقد بلغت نسبة الوفيات بالسل ٣ر٣٧ لكل عشرة آلاف من السكان فى سنة ١٨٧١ فهبطت فى سنة ١٩٢١ إلى ٢ر١٢ لكل عشرة آلاف من السكان . أو بعبارة أخرى أنها هبطت إلى الثلث فى مدى خمسين عاماً .

ولقد حدث نفس هذا النقص فى وفيات السل بانجلترا إذ هبطت نسبة الوفيات من ٤ر٣٣ إلى ٣ر١١ لكل عشرة آلاف من السكان سنة ١٩٢١ .

ولقد أعلن السير روبرت فيليب الحقيقة التالية : —

(لو أن نسبة وفيات السل فى اسكتلندة فى سنة ١٨٧١ استمرت كما هى إلى

سنة ١٩٢٢ لبلغت زيادة الوفيات سنوياً ٩٢٤٤ وفاة . أى أن عدد الأنفس التى أنقذت فى مدى ٥٢ عاما يبلغ فى اسكتلنده فقط نصف مليون نفس) .

ونعتقد بعد تمحيص الإحصائيات المصرية أن وفيات السل فى القطر المصرى تبلغ ٢٠ ألف وفاة سنويا . ولهذا فان عدد مرضى السل لابد أن يبلغ ٢٠٠٠٠٠ مائتى ألف مريض . (أعلن السير روبرت فيليب فى مؤتمر واشنطن أن كل وفاة بالسل يقابلها عشرة مرضى بالسل) .

وعلى هذا الأساس نود أن نحدد هنا بعض التحديد مايجب توافره فى معاهد كفاح السل فى مصر حسب ما اتفقت عليه آراء الثقات المختصين فى هذا المرض

فيجب أن يوجد فى مصر عشرون ألف سرير وقفا على مرض السل ، على أن يكون بعض هذه الأسرة فى المصحات المختلفة المخصصة لأنواع السل المتنوعة من رئوية وجراحية للبالغين والأطفال ، كما يكون باقيها فى أقسام المستشفيات الخاصة المخصصة لحالات السل المتقدمة .

وهذه الأسرة المعدة لشفاء الحالات القابلة للشفاء وعزل الحالات المتقدمة التى لا يرجى برؤها لا تكفى ، بل يجب أن توجد علاوة على ذلك مستوصفات للدرن (عيادات مجانية لحالات السل) فى جميع مدن القطر وقراه الكبيرة .

ويجب أن يقوم بأمر هذه المستوصفات أطباء اختصاصيون فى السل يعاونهم ممرضات قانونيات يدربن تدريبا خاصا على هذا العمل الاجتماعى . وعمل هذه المستوصفات اكتشاف حالات السل ، وأخذ الاحتياطات الوقائية ونشر الدعاية الصحية بين العائلات .

الاعتبار الثانى : نبسط هنا أمثلة مما شاهدناه بوجه خاص فى المعرض الذى أعد بروما لهذا الغرض . والذى يدل على التضحيات المالية الكبيرة التى خصصتها الحكومات فى السنين الأخيرة لكفاح السل .

الحكومة الايطالية : خصصت الحكومة الإيطالية فى ميزانيتها لهذا العام ١٢٫٣٠٠٫٠٠٠ ليرة (اثنى عشر مليونا وثلثمائة ألف ليرة إيطالية) لكفاح السل.

وعلاوة على هذا المبلغ فان قانون التأمين الاجبارى ضد السل فى ايطاليا الذى سنته الحكومة الايطالية بصفة مستعجلة سيجلب إلى الخزانة العامة خمسة ملايين ليرة لتأسيس معاهد لكفاح السل، وثلثمائة مليون ليرة سنويا لإنشاء مستوصفات ومصحات جديدة ولدفع نفقات العلاج المصحى للفقراء .

الحكومة الدانماركية : (ويبلغ عدد سكان الدانمارك ٣٫٢٨٩٫٠٠٠ نسمة)

خصصت الحكومة الدانيماركية لمكافحة السل المبالغ الآتية : —

فى سنة ١٩٢٠	٦٫٤٤٦٫١٠٠	فرنك ذهباً
« « ١٩٢١	٥٫٦٢٩٫٦٠٠	« «
« « ١٩٢٢	٤٫٩٠٧٫٤٠٠	« «

الحكومة الانجليزية : (انجلترا وويلز) — خصصت الحكومة الانجليزية فى ميزانيتها لسنة ١٩٢٥ إعانة مالية لكفاح السل المبالغ الآتية : —

إعانة لمستوصفات الدرن ٥٣٥٫٠٥٨ جنيه انجليزى وإعانة لمعاهد العلاج ومستشفيات السل ٢٫٣١٤٫٧٥٥ جنيها انجليزيا .

وهذه المبالغ لاتشمل التبرعات ولا المبالغ التى يستخدمها الأفراد فى معاهد خاصة بكفاح السل .

الحكومة السويسرية : تخصص الحكومة السويسرية فى ميزانيتها كل عام مبلغ مليونين من الفرنكات السويسرية (ذهبا) لمكافحة السل . إلا أن الأفراد والجهات غير الرسمية فى سويسرا لها مجهودهما فى إنشاء عدد عظيم من معاهد العلاج الخاصة، بحيث تعتبر هذه المبالغ التى تصرفها الحكومة السويسرية إعانة جزئية فقط لبعض المعاهد المخصصة لكفاح السل . ويتراوح ما تصرفه سويسرا على كفاح السل سنويا ما بين عشرين مليونا وثلاثين مليونا فرنكا سويسريا ذهبا. وعدد سكان سويسرا أربعة ملايين ـ وعلاوة على ذلك فان الحكومة السويسرية قد سنت تشريعا خاصا بكفاح السل سيوافق عليه مندوبو الشعب قريبا .

وفى هذا التشريع تنظيم قانونى لما يجب اتخاذه من الاحتياطات الصحية وبالأخص التبليغ الاجبارى عن حالات السل المعدية . وبهذه المناسبة نذكر أن التبليغ الاجبارى عن حالات السل نافذ المفعول فى ايطاليا أيضا .

أما فيما يتعلق بمصر فقد أضيف السل فى العام الماضى إلى قائمة الأمراض المعدية الواجب التبليغ عنها. والغرض الأساسى من هذا التبليغ هو بذل المعونة الطبية والاجتماعية للمرضى الذين يبلغ عنهم . إلا أنه من دواعى الأسف أن استشفاء هؤلاء المرضى أو إسعافهم اجتماعيا من غير الميسور فى مصر فى الوقت الحاضر .

وفى الواقع يقتصر التبليغ على حالات الوفيات بالسل فى مصر .

كلمة ختامية

إن الملاحظات التى سبق إبداؤها وإن كانت مختصرة ذات صيغة عامة إلا أنها واضحة الدلالة على عناية الأمم المتحضرة وعظم اهتمامها بمكافحة السل ودفع

شر هذا المرض الوبيل الذى يفتك على الأخص بالشبيبة ويجلب الفقر للأمم.

ولقد تبدو هذه المبالغ وتلك الجهود التى تبذلها الأمم مبالغا فيها الأول وهلة. إلا أن الواقع يدل على خلاف ذلك. فإن الخسارة الاقتصادية الجسيمة التى يسببها السل وهو مشكلة اجتماعية خطيرة، تجعل كل تضحية مالية فى كفاحه حرية أن تجد الأمم عنها عوضا. لا من وجهة التقدم الصحى والأدبى فقط، بل من وجهة الربح المالى أيضا.

ولقد خطت مصر خطوة موفقة سديدة بافتتاح مصحة فؤاد بحلوان وبانضمامها مؤخراً إلى الاتحاد الدولى لمكافحة السل، إلا أننا نعتقد أنه أحرى بمصر أن لاتقتصر على ذلك، بل يجب أن تمضى قدما فى مضاعفة جهودها والاستزادة من نشاطها فى هذا السبيل.

ولقد عالج أحدنا (الدكتور عبد الرءوف حسن) فى تقرير عربى خاص هام (الملحق الثانى) مشكلة السل فى مصر من وجهة عامة ذاكراً الأسس التى يجب أن يرتكز عليها كفاح السل فى هذا القطر.

وأملنا وطيد أن لاتتوانى السلطات العامة فى الاهتمام بانشاء معاهد خاصة بمكافحة السل لأننا نعتقد أن الحاجة ماسة أشد مساس إليها.

الدكتور ريتير برنار
مدير مصحة فؤاد بحلوان

الدكتور عبد الرءوف حسن
وكيل مصحة فؤاد بحلوان

الملحق الأول

الرسالة التى قدمها مندوبا مصر إلى المؤتمر

بجلسة ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٢٨

وموضوعها

بدء كفاح السل فى مصر والصعاب التى تعترضه (فى الريف والحضر)

للدكتور ريفيير رنائر — مدير مصحة فؤاد بحلوان

والدكتور عبد الرءوف حسن — وكيل مصحة فؤاد بحلوان

ما يزال كفاح السل فى مصر فى بدايته ، إذ فى سنة ١٩٠٢ كون لفيف من الاطباء جماعة لمكافحة السل فى مصر تتألف من لجنتين إحداهما بالقاهرة والأخرى بالاسكندرية .

ونظراً لأسباب متعددة أهمها ظروف الحرب العالمية لم تستطع لجنة القاهرة متابعة عملها . إلا أن جماعة الاسكندرية استطاعت على النقيض من ذلك أن تقوم بعملها بإنشاء مستوصفين . وبمتابعة حملة تبشيرية بين طبقات الشعب وأفراد الجاليات الأجنبية فى الاسكندرية .

وقد بلغ عدد العيادات التى قامت بها هذه اللجنة من سنة ١٩٠٣ إلى سنة ١٩٢٧ نحواً من ١٥٠٫٠٠٠ عيادة و ١٠٫٠٠٠ زيارة منزلية .

ومن دواعى الأسف أن مشكلة إيجاد معهد أو مصحة لعلاج مرضى السل فى الإسكندرية لم تجد حلا بعد ، ولم تزل قيد البحث .

وفى سنة ١٩٢٦ حققت الحكومة المصرية الرغبة السنية التى أبداها حضر
صاحب الجلالة الملك فؤاد فبدأت كفاح السل فى مصر وبالأخص فى منطقة
القاهرة بأن أنشأت وزارة الاوقاف المصرية معهداً لمكافحة السل فى مصر
هو مصحة فؤاد بحلوان الحمامات .

وقد عالجت هذه المصحة فى السنتين الأوليين من إنشائها ما يربو على ٠٠
مريضاً ومريضة . وكانت النتائج العلاجية فيها موازية لأحسن النتائج فى مصحات
أوروبا . والوزارة جادة فى درس مشروع إنشاء مستوصفات للدرن فى الأحيا
الآهلة بالقاهرة .

وإذا كنا نشترك اليوم فى هذه المناقشة فذلك لأن إسعاف مرضى السل
فى أرياف مصر مشكلة تستوجب الحل السريع .

وليس غرضنا هنا أن نورد نتائجنا، فنحن لا نزال فى بداية عملنا، بل كل م
نرمى إليه هو أن نعدد الصعاب التى تعترض كفاح السل فى مصر ، باسطير
آراءنا الخاصة فى أصوب طريقة لحل هذه المشكلة الاجتماعية .

بالقطر المصرى ثلاث مدن فقط يبلغ عدد سكان كل منها أكثر من ما
ألف نفس . أما باقى مجاميع السكان فإنها من حيث نظامها الصحى ليست إ
مدنا صغيرة وقرى . ويبلغ عدد سكان مدن القطر المصرى (مدنه وبنادره
أقل من أربعة ملايين نسمة من مجموع سكان القطر المصرى الذى يبلغ ١٥ مليو ن
أى إن عدد سكان الريف فى مصر يقرب من ثلاثة أرباع السكان .

ولذا يتساءل المرء كيف يجب أن تواجه مشكلة كفاح السل فى بلد كهذا
أما الاحصائيات التى يستدل منها على مبلغ الوفيات بالسل وعدد الإصابا
به فهى لاتزال فى الوقت الحاضر جزئية غير وافية .

إلا أن الإحصائيات التى استطعنا جمعها فى الوقت الحاضر تدل على أن عدد وفيات السل فى مصر سنوياً يربو بلا شك على عشرين ألفاً سنوياً .

ولذا فإن عدد إصابات السل فى مصر يقدر بنحو ٢٠٠ر٠٠٠ (مائتى الف) حالة سل على أقل تقدير .

ونحن نعتقد بعد إجراء تصحيحات لابد منها للإحصائيات الرسمية أن عدد وفيات السل فى أرياف مصر تبلغ ١٠ر٠٠٠ (عشرة آلاف) وفاة سنويا يقابلها ١٠ر٠٠٠ (عشرة آلاف) وفاة بالسل فى المدن سنويا . فاذا لم يكن السل فى أرياف مصر يوازى فى انتشاره الحال فى أوروبا فان خطره لاينكر ، ويجب أن يضعه ولاة الأمور الصحيين فى مصر موضع العناية ويضموه إلى قائمة الإصلاحات الصحية الواجب القيام بها فى مصر .

وبهذه المناسبة نرى أن نذكر باختصار سبب قلة انتشار السل فى أرياف مصر ، إذ يرجع ذلك على مانرى إلى عاملين أساسيين يمكن تلخيصهما فى كلمة واحدة وهى الجو . فان جو مصر الواقى يحدث تأثيره بطريقتين :—

(١) أن أشعة الشمس فى مصر (وتبلغ ٨٢٪ من النهاية العظمى) وجفاف الجو يعملان على تطهير الإفرازات المعدية التى تحوى باشلس السل فى وقت أسرع منه فى البلاد الأخرى التى لاتبلغ فيها أشعة الشمس هذا المبلغ .

(٢) ان اعتدال الجو يسمح للفلاح المصرى بقضاء معظم وقته خارج مسكنه فى الهواء الطلق ، وهذه العادة لها تأثير واق على مخالطى حالات السل ، كما أنها تمهد سبيل التهوية لكثير من الأشخاص المصابين بالسل الرئوى أو المعرضين للإصابة به.

غير أن هذه العوامل محدودة الأثر إذ متى حصلت إصابة سل فى عائلة ريفية فإن الجهل بالمبادىء الصحية والوسط غير الصحى يمكن عدوى السل من إحداث

أضرارها الجسيمة بانتشارها إلى المخالطين .

ولدرء خطر امتداد عدوى السل فى الأرياف نود أن نبسط هنا : ـ

(أولا) الأعمال التى تمت إلى الآن .

(ثانياً) ما نشير بعمله وما نعتقده فى حيز الإمكان .

(أولا) الأعمال التى تمت إلى الآن :

لقد تم افتتاح مصحة فؤاد . وأعلن عن هـذا الافتتاح فى الجرائد المحلية وسرعان ما انتشرت سمعتها وعرفها الجمهور ، وتقاطر إليها المرضى حتى اضطرتنا كثرة الطلبات إلى أن نفتتح فى نفس المصحة عيادة خارجية مجانية تقوم بعمل المستوصف انتظاراً لافتتاح هذا المستوصف الذى لا بد منه .

وفى هذه العيادة تعطى للمرضى الكثيرين الذين يتقدمون للكشف عليهم التعليمات اللازمة بعد فحصهم وتشخيص حالتهم .

والمرضى الفقراء على جانب عظيم من الذكاء يبدون رغبة أكيدة فى اتباع النصائح التى تلقى إليهم . ولذا فنحن نعتقد أن الأصول الصحية التى يتلقاها المرضى أثناء إقامتهم بالمصحة أو التى يتلقونها فى هذه العيادات المجانية ليست ضائعة هباء ، بل هى فى طريق الانتشار التدريجى بين طبقات الشعب .

(ثانيا) وهنا نستطيع أن نتساءل عن الطرق التى يمكن بها محاربة عدوى السل بين طبقات الشعب فى الأرياف .

إلا أن الصعاب التى نلقاها فى هذا السبيل أهمها : ـ

(ا) كثرة عدد الفلاحين الأميين الذين لا يستطيعون القراءة ، وذلك مما يجعل الدعاية بالنشرات المطبوعة وغيرها مما لا يمكن استخدامه .

(ب) قلة عدد الأطباء الذين لهم خبرة كافية بمرض السل فى القرى أو المدن الصغيرة .

(ج) تفرق الناس فى مجاميع غير كبيرة .

(د) قلة عدد الأسرة المخصصة لعلاج مرضى السل فى مصر .

ولتذليل هذه الصعاب نقترح الحلول الآتية :-

(أولا) تعليم المبادىء الصحية ضد السل فى المدارس إذ التعليم الإجبارى فى القطر المصرى فى طريق التنظيم ولن تمضى حوالى عشرين سنة إلا والتعليم قد شمل جميع طبقات الشعب .

(ثانياً) إيجاد دراسة خاصة لمرض السل فى كلية الطب بالقاهرة وفى مصحة فؤاد بحلوان حيث تعطى الفرصة لتدريب عدد من الأطباء الشبان ومن طلبة الطب فى سنتهم النهائية .

(ثالثا) افتتاح مستوصفات للدرن فى مدن القطر المهمة وفى القرى الكبيرة التى تعقد فيها أسواق أسبوعية .

ومما يبعث على الارتياح فى هذا الصدد أن عيادة المرضى بالسل ستسهل إلى حد كبير متى تم تنفيذ المشروع الذى اعتمدته الحكومة المصرية مؤخراً وهو افتتاح ١٥٠ (مائة وخمسين) مستشفى فى البنادر والقرى الكبيرة على أن يتم تنفيذ ذلك تدريجياً فى ظرف بضع سنوات ، فإن هذه المستشفيات سيكون من عملها القيام بعمل عيادات خارجية فى مختلف الأمراض على أن يكون بكل منها بضعة أسرة للحالات الاضطرارية . إلا أنه من غير المتيسر علاج مرضى السل القابلين للشفاء قبل إنشاء مصحات جديدة لهذا الغرض .

وانتظاراً لتنفيذ هذا المشروع ولأن عمل هذه المستشفيات سيكون محدوداً فى كفاح السل نعتقد أن خير ما نشير به فى الوقت الحاضر هو تعميم ما أنشأته مصلحة الصحة العمومية من عيادات ومعامل متنقلة لمحاربة الأمراض الطفيلية وأمراض الأطفال والعيون والأمراض السرية التى يرجع الفضل فيها إلى حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا .

ويوجد من هذه العيادات عدد متنقل فى أنحاء القطر يقوم بعمل التحاليل لاكتشاف عدوى الانكلستوما والبلهارسيا كما تعرض أشرطة سينمائية وتلقى محاضرات فى الصحة العامة . ولذا يمكن إنشاء عيادات على هذا المنوال لمكافحة السل بأن يعلن عن يوم محدد فى إحدى القرى حيث يعرض الذين يشكون من السعال أنفسهم للفحص ، فيحلل بصاقهم ، فمن يوجد منهم مريضاً تعطى له النصائح اللازمة للوقاية أو تعطى له على الفور مبصقة لاستعمالها أو تعليمات تمكنه من منع عدواه لغيره .

الامضاء	الامضاء
الدكتور رينيه برنار	الدكتور عبد الرءوف حسن

حاشية : لهذا التقرير ملحق ثان عن « أسس كفاح السل فى مصر » وهو رسالة لم يتسع المجال لاثباتها هنا لطولها ، وقد نشرت بالمجلة الطبية المصرية عدد نوفمبر سنة ١٩٢٩ ، وهذه التقريرات فى مجموعها تؤرخ بدء كفاح السل فى مصر على أسس عصرية تماشى نهضة كفاحه فى الأمم الأوروبية .

القسم الثانى

عهد وزارة الصحة — الادارة المصرية
(من مايو سنة ١٩٣٢ إلى أكتوبر سنة ١٩٤٦)

---

١ — تمهيـــد

فى سنة ١٩٣٢ بمناسبة الضائقة المالية ، رأت وزارة الأوقاف أن تتخفف من التزاماتها المالية ، فوافقت على أن تقوم مصلحة الصحة بالإشراف على مصحة فؤاد ، وأن تضمها إلى وحداتها على أن تتولى مصلحة الصحة الإنفاق عليها .

وقد تم هذا النقل رسمياً فى مايو سنة ١٩٣٢ فى أواخر عهد جناب الدكتور زيمرلى ، ورأى المغفور له حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا أن تكون المصحة تحت إشرافه شخصياً، فلم تُضم إلى قسم معين من أقسام المصلحة.

وظلت المصحة تتبع مكتب سعادته مباشرة إلى سنة ١٩٣٤ ، حين قرر أن تُضم إلى قسم الأمراض المتوطنة ، الذى كان يتولاه فى ذلك الحين جناب الدكتور « ووكر تومب » .

وهذه الفترة التى أشير إليها مليئة بالذكريات حلوها ومرها ، ولا مفر من عرض بعضها على الأقل لنسجل بأمانة فترة حاسمة فى حياة المصحة ، ففيها تقرر مصير إدارة المصحة ، إذ عُهد بها إلى مصرى ، يسعده اليوم أن يستعيد ذكريات هذه الأيام ، ليقضى ما فى عنقه من دين أدبى وعرفان بالجميل لِمَن وثقوا به ، فأسندوا إليه منصباً كان مفهوماً أن للأجنبىّ فيه امتيازا على المصرىّ .

٢ — فترة انتقال — تمصير الادارة

كان جناب الدكتور زيمرلى يوشك أن يسافر فى يونيه سنة ١٩٣٢ بإجاز الصيفية بعد انتقال المصحة إلى إشراف مصلحة الصحة فى مايو ، وسافر جنا فعلا وتركنى أنوب عنه فى إدارة المصحة أثناء الصيف ، وكان عقد استخد جنابه ينتهى فى ديسمبر التالى .

فقضيت الصيف أعد تقريراً ضافياً عن المصحة ، ضمنته دراسة كاملة لموضو تنظيمها ، ورفعته إلى حضرة صاحب السعادة المرحوم الدكتور محمد شاهين باش ودرس سعادته التقرير ، واستدعانى ليبدى ارتياحه إلى ما ورد فى التقرير م مقترحات ، وليقول لى صراحة : «بالرغم من اعتبارى إياك مدير المصحة فى المستقبل فقد رأيت أن أجدد عقد المدير السويسرى ، وأنت لا تزال فى مقتبل العمر ولا أظنك تمانع فى أن تظل فى منصب وكيل المصحة فترة أخرى» .

فكان جوابى كما أذكره جيداً الآن : «مادمت أعمل فى مصحة فؤادالتى وهبت لها حياتى ، فسواء لدىّ أن أكون وكيلا أو مديراً ، والرأى لسعادتك ، حسب أن أخدم مهنتى وبلادى» .

وانصرفت موقناً أن أمامى ثلاث سنوات أخرى ، أعمل فيها جندياً الصفوف .

وإنى لأعترف صراحة بأن هذا القرار أثار فى نفسى مرارة ، وصدمنى صد عنيفة فى آمالى ، ولكنى استنجدت كعادتى فى الأزمات بعقلية الشاعر ، ورضخ للأمر الواقع ، والتمست العزاء فى عملى بالمصحة .

وعاد جناب الدكتور زيمرلى فى سبتمبر ، وتابع عمله إلى أواخر ديسمبر

ولكنه فى آخر لحظة آثر أن يتخلى عن منصبه مختاراً ، بعد أن كان مزمعاً تجديد عقده ثلاث سنوات أخرى ، لخلاف فى الرأى بينه وبين حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا .

وخلا منصب مدير المصحة ، وكان من واجبي أن أتولى إدارة المصحة حتى يعين لها مدير سويسرى ثالث ، ففعلت .

وكنتُ أعلم أن مكاتبات رسمية أُرسلت إلى ممثل مصر بسويسرا للبحث عن مدير للمصحة ، فقدّرت أن المدير السويسرى الجديد يجب أن يتسلم منى مصحة لا نخجل كمصريين من انتسابها إلينا .

ومن حسن حظى أن كان اتصالى فى شئون المصحة مباشراً مع حضرة صاحب السعادة المرحوم الدكتور محمد شاهين باشا . وكان سعادته بالغ الاهتمام بأمرها ، مما أتاح لى فرصا عديدة للقاء سعادته ورفع تقاريرى إليه دون وساطة . . .

ومر عام ١٩٣٣ وجانبٌ من عام ١٩٣٤ دون أن يتم اختيار المدير الجديد ، وعملت جاهداً خلال هذه الفترة على زيادة عدد أسرة المصحة ، بإعداد الدور الأعلى من الجناح الشرقى لقبول المرضى ، فارتفع عدد أسرتها من ٢٨٨ سريراً الى ٤٠٠ ؛ واستخدمت لهذا الغرض ما كان مكدساً فى مخازن المصحة من أثاث ومهمات من عهد وزارة الاوقاف ، وعرضت الامر على حضرة صاحب السعادة الدكتور محمد شاهين باشا فأبدى سروره ورضاه .

وفى اليوم التالى — ٣٠ / ٥ / ١٩٣٤ — خاطبنى حضرة الأستاذ محمد خفاجى ، مدير مكتب سعادة الباشا ، ليبلغنى أنه صدر قرار بإسناد منصب مدير المصحة الىّ . وكانت مفاجأة تامة لم تسبقها أية مقدمات . فقد كنتُ قد وطنت النفس نهائيا على قبول الوضع الذى حتمته الظروف ، فاذا بى أمام إنصاف قد فقدت الأمل فيه ، وتقدير كريم كنت قد يئست نهائيا منه . . .

وذهبت فى اليوم التالى لأشكر سعادة الباشا على ما أولانيه من ثقة ، فكان جوابه : « هذا حقك رددته إليك وأنت أهل له » .

وقد يعجزنى أن أصور مبلغ عمق شعورى نحو هذا الرجل الكريم الذى أدين له بفضل لا يُنسى. فقد مصّر منصب مدير أول مصحة مصرية ، ووثق بشبابى الذى كان أكبر عقبة فى سبيل إنصافى ، هذا الانصاف الأدبى الذى تطلّعتُ إليه طموحا كريما ، واعتزازا بمصريتى ، لا ارتقابا لغنم مادىّ ، كانت اللوائح المالية تحول بينى وبينه . . .

ولقد افتتحت المصحة صفحة جديدة من حياتها منذ أول يونية سنة ١٩٣٤ حين أُلحقت بقسم الأمراض المتوطنة كوحدة من وحداته المتعددة .

ويُعدُّ هذا القرار نقطة تحول خطير فى حياتها ، إذ بعد أن كانت معهداً فريد النوع يحتفظ بطابعه الخاص ، ويستقل بجهوده فى ميدان معين ، تابع السير تحت لواء المشرفين على الصحة العامة فى مصر ، واتخذ مكانه الطبيعى كوحدة علاجية لأمراض الصدر فى مصر ، تتعاون مع المستوصفات التى كانت مصلحة الصحة قد بدأت فى إنشائها منذ سنة ١٩٢٩ ، إذ تتولى المصحة الناحية العلاجية ، وتقوم المستوصفات بالناحية الوقائية من كفاح السل فى مصر .

٣ — إيضاح واجب

لقد تولّيتُ إدارة مصحة فؤاد الأول منذ أول يناير سنة ١٩٣٣ إلى الآن قرابة أربعة عشر عاماً ، وشهدتُ مولدها ، وراقبت نشأتها ، ومزجت حياتى بحياتها ، واستطعت أن أجد مبرراً كافياً للحديث عنها قبل أن أتولى إدارتها ، تسجيلا للحوادث والذكريات التى كادت تنسى ، وإقراراً بفضل من سبقونى فى الإشراف عليها ، واعترافاً بجميل من قرر أن أتولى إدارتها رغم أنى لم أكن بعد قد خلع علىّ الشيب مهابته وجلاله . . .

أما وقد بلغت من رواية القصة إلى هذا المدى ، فمن واجبي أن أعترف صراحة أنني آخر من يحق له أن يتحدث عن المصحة في العهد الذي توليتُ فيه إدارتها لاعتبارات واضحة مفهومة .

حسبي أن أقرر مطمئناً أنني حرصت على أن أؤدي واجبي جهد ما استطعت، وأن أساير بمعاونة زملائي المصريين النهضة العلمية الغربية ، وأن تكون المصحة سبّاقة إلى استخدام أحدث وسائل العلاج ، بحيث احتفظتْ دائماً بمكانها الملحوظ بين المعاهد المماثلة لها ، وبشهرتها التي لا تزال تنعم بها بحمد الله في الشرق العربي وفي أوروبا .

ولقد صرّح «الدكتور ماكدوجال» — (رئيس المجلس البريطاني ومندوب هيئة الأمم المتحدة لكفاح السل في البلقان) — حين زار المصحة ووقف على مدى نشاطها الفني في سنة ١٩٤٥ بما يلي :

« أدهشني أن أرى في مصر هذا التقدم الرائع في تشخيص وعلاج أمراض الصدر ، فليس لدينا ما نُعلّمه لكم ، بل الواقع أن عندكم ما يصح أن نأخذه عنكم» .

وفي خطاب التقديم المنشور في صدر هذه الرسالة شهادة من جناب الدكتور برناند مدير المصحة الأسبق ليس لنا أن نعلق عليها ، ولكننا نكتفي بأن نشير إلى أن مضيّ هذه الفترة الطويلة التي انقضت منذ انقطعت صلته بالمصحة ، وما عُرف عن الرجل من دقة في التعبير ، وصدق في التصوير يجعلان لشهادته وزناً خاصاً .

وإن اعتدادي بمصريتي الصميمة ، واعتزازي بالسمعة الطيبة التي اكتسبتها المصحة منذ إنشائها إلى الآن، كلاهما يجعلني في حل من أن لا أقنع بأقوال الغير أسوقها للتدليل على مبلغ جهود المصحة ومدى نشاطها ، بل يسعدني اليوم أن أقدّم شيئاً آخر ، احتفظتُ به لأعلنه في هذه المناسبة السعيدة لأول مرة .

٤ — عملية تفريغ الكهوف الرئوية

(Endo - Cavitary Aspiration - Monaldi's Operation.)

خلال سنوات الحرب الأخيرة ، ابتكر أحد أطباء روما — الدكتور مونالدى — عملية جديدة لعلاج الكهوف الرئوية .

فلقد كانت الكهوف الرئوية التى يُخفق فى علاجها الاسترواح الصدرى تعالج بعملية جراحية خطيرة ، تقتضى قص الاضلاع وتشويه الصدر ، أما الطريقة الجديدة فليست أكثر من إدخال قسطرة صغيرة داخل الكهف بجهاز خاص ، يدخل بين ضلعين من ثقب صغير فى الجلد . وأحد طرفى القسطرة يترك داخل الكهف ، أما الطرف الآخر فيوصّل الى جهاز يسحب الافرازات والهواء من الكهف حتى يندمل وحده ويزول دون أى عمل جراحى آخر . وبعد انتزاع القسطرة واندمال الجرح الصغير الذى كانت قد أدخلت فيه يظل صدر المريض كما هو دون أى تشويه واضح ، كما يحدث بعد عملية قص الأضلاع .

ولم تصل إلينا بسبب الحرب — أية معلومات مفصلة عن طريقة إجراء العملية.

وفى يونية سنة ١٩٤٥ ، زار الدكتور موريس مندس (Dr. M. Mendès) المصحة زيارة قصيرة عابرة — وقد كان جنابه مساعداً للدكتور مونالدى فى روما سنة ١٩٣٩ ، ثم سافر الى سويسرا بعد ذلك ، وأجرى العملية الحديثة لبعض المرضى هناك بطريقة مونالدى وجهازه الخاص .

ولقد شرح لنا الدكتور مندس شفويا طريقة العملية ، وسمح لنا أن نصنع جهازاً مماثلا للجهاز المستعمل فى أوروبا .

وكان علينا أن نعتمد على مجهودنا ووسائلنا الخاصة ، لنجعل هذه العملية الحديثة فى متناول مرضانا لأول مرة فى مصر .

وقد أجرينا العملية إلى الآن لستة عشر من المرضى بطريقة مبتكرة

بعد بحث مصرى صميم ، له طابعه الخاص فى وسائله وأجهزته ، التى قمنا بتصميم فكرتها وصنعتها أيدٍ مصرية .

ونحن نكتفى فى هذه الرسالة التذكارية بهذا التسجيل وحده ، دون أن نتجاوز ما تحتمه علينا واجبات المهنة من التزام حدود معينة عند طرق هذه الموضوعات الفنية .

وفى ملحق للرسالة نشرنا بعض صور قليلة عن هذه العملية لا تحتاج منا إلى تعليق .

ولعلى بما أسلفتُ قد بلغت المدى الذى يجمل بى أن أقف عنده ، ولكنى فى سبيل إتمام القصة التى بدأتها ، أسمح لنفسى فقط أن أسجل بعض ملاحظات موجزة استخلصتها من التقريرات الرسمية لوزارة الصحة ، تصور تطور المصحة واطراد نموها تحت إشراف مصلحة الصحة ثم وزارة الصحة فيما بعد .

٥ — نمو المصحة التدريجى فى عهد وزارة الصحة

فى مايو سنة ١٩٣٢ ، حين انتقلت المصحة إلى إشراف مصلحة الصحة ، كان بها ٢٠٠ مريض ومريضة . وقد زيد عدد أسرة المصحة إلى ٤٠٠ سرير فى سنة ١٩٣٤ .

وكان المزمع فى ذلك الحين أن تزاد سعتها إلى ألف سرير ، وذلك بإضافة مبان جديدة فى الفراغ الفسيح الذى يحيط بالمصحة .

(نقلا عن تقرير مصلحة الصحة فى سنة ١٩٣٤)

وفى سنة ١٩٣٥ زيد عدد أسرتها إلى ٤٣٣ سريرا .

وفى سنة ١٩٣٦ أصبحت مصلحة الصحة وزارة ، وأنشىء قسم خاص

لأمراض الصدر، تولاه حضرة صاحب العزة الدكتور محمود سليمان أباظة بك، وضُمت المصحة إليه وحدة علاجية من وحداته .

وفى سنة ١٩٣٨ زيد عدد أسرتها الى ٤٥٠ سريرا . وفى هذا العام وضع حضرة صاحب العزة الدكتور أباظة بك مدير الأمراض الصدرية برنامجاً شاملا لكفاح السل فى مصر ، تبين منه اتجاه النية إلى انشاء وحدات علاجية صغيرة بالمستوصفات بدل المصحات الكبيرة . ولهذا عُدل نهائياً عن توسيع المصحة أو إقامة منشئات إضافية بها .

وفى سنة ١٩٤١ زيد عدد أسرة المصحة الى ٤٧٠ سريراً .

وفى سنة ١٩٤٣ زيد عدد أسرة المصحة الى ٥٠٠ سرير .

وفى سنة ١٩٤٥ زيد عدد أسرة المصحة الى ٥١٤ سريراً .

ولم يعد بعد ذلك مجال للزيادة ، فقد استخدمنا كل ركن من أركان المصحة لإيواء المرضى وتعذر إيجاد فراغ يتسع لسرير إضافى بعد ذلك .

وقد ظلت المصحة طوال العشرين عاما ، غاصة بالمرضى ، يرتقبون دورهم شهوراً قبل أن يخلو لهم فيها مكان .

٦ — بيان إحصائى عن حركة قبول المرضى بالمصحة

عاماً بعد عام

العام	المرضى الذين دخلوا المصحة هذا العام	
١٩٢٦	٥٤	من ٩ اكتوبر الى نهاية العام .
١٩٢٧	٣٦٤	
١٩٢٨	٣٦٩	
١٩٢٩	٤٤٤	١٢٣١ مريضا ومريضة (الدكتور برناند)
١٩٣٠	٤٤٩	
١٩٣١	٥٣٥	١٥٨٤ (الدكتور زيمرلى)
١٩٣٢	٦٠٠	
١٩٣٣	٦٩٨	بدء عهد وزارة الصحة .
١٩٣٤	٨٨٧	
١٩٣٥	١١٧١	
١٩٣٦	١١٣١	
١٩٣٧	٨٣٢	المجموع ٩٠١١ مريضا ومريضة
١٩٣٨	٩١٣	
١٩٣٩	١٠٥٢	
١٩٤٠	١٠٨٧	
١٩٤١	١٢٤٠	

العام	المرضى الذين دخلوا المصحة خلال العام		
١٩٤٢	١٢٠٩	ما قبله	٩٠١١
١٩٤٣	١١٠٦	المجموع	٤٧٩٠
١٩٤٤	١١٢٩	المجموع الكلى	١٣٨٠١
١٩٤٥	١٣٤٦	مريضاً ومريضة	

وقد بلغ الذين عولجوا بالمصحة منذ إنشائها إلى الآن أكثر من سبعة عشر ألفاً من المرضى خلال العشرين عاما الماضية، منهم حوالى ثلاثة آلاف فى عهد وزارة الأوقاف وحوالى أربعة عشر ألفاً فى عهد وزارة الصحة .

٧ — بيان إحصائى عن نفقات المصحة وإيراداتها

بين سنة ١٩٣٤ وسنة ١٩٤٥ (نقلا عن تقريرات قسم الأمراض الصدرية)

العام	النفقات	الإيرادات	العام	النفقات	الإيرادات
	جنيهاً	جنيهاً		جنيهاً	جنيهاً
١٩٣٤	١٩٥٩٩	٥٩٣٨	١٩٤٠	٢٢٨١٩	٤٧١٨
١٩٣٥	١٧١٤١	٦٩٠٨	١٩٤١	٢٢٢٠٧	٦٢٢٣
١٩٣٦	٢٣٥٩٥	٨٠١٩	١٩٤٢	٢٤٦٥٧	٧٢٤٦
١٩٣٧	٢٤٧٦٦	٦٨١٧	١٩٤٣	٣١٣٦٧	٧٠١٩
١٩٣٨	٢٣٦٦٩	٥٧٨١	١٩٤٤	٤١٩١٠	٦٣٦٢
١٩٣٩	١٥٠٩٤	٤٩٧٨	١٩٤٥	٥٠٥٥٦	٦٦٨٤

٨ — نشاط المصحة العلمى والثقافى

فيما يلى بيان عما قام به أطباء المصحة من مجهود فى هذا الميدان (باللغة العربية).

(ا) رسائل علمية وأبحاث :

(١) ١٩٢٨ الدكتور اسماعيل شكرى : ملاحظات على العلاج بالسانوكرزين محاضرة ألقيت بالمصحة .

(٢) ١٩٢٨ الدكتور عبد الرءوف حسن : عملية الصدر الهوائى الصناعى، دواعيها ونتائجها: المجلة الطبية المصرية المجلد ١١.

(٣) ١٩٢٨ » » » » العلاج المصحى بحلوان : المجلة الطبية المصرية المجلد ١١ .

(٤) ١٩٢٩ » » » » أسس كفاح السل فى مصر: المجلة الطبية المصرية المجلد ١٢ .

(٥) ١٩٣٠ » » » » علاج الدرن بالمصحات : المجلة الطبية المصرية المجلد ١٣ .

(٦) ١٩٣١ » » » » مشكلة التدرن فى مصر :
رسالة نالت جائزة التفوق فى مسابقة للجمعية الطبية المصرية .
المجلة الطبية المصرية المجلد ١٤ .

(٧) ١٩٣١ » » » » استعراض كلينيكى لحالات هامة :
المجلة الطبية المصرية المجلد ١٤ .

٩ – رسائل علمية صدرت عن المصحة باللغات الاجنبية

Publications in Foreign Languages

1.	1928.	Dr. R. Burnand.	"La Cure Sanatoriale à Helouan." Jr. Association Medicale Egyptienne, Vol. XI.
2.	1928.	Dr. R. Burnand.	"Premières expériences d'un phtisiologue en Egypte." Rev. de Phtisiologie, Tome IX, No. 1.
3.	1928.	Dr. R. Burnand.	"Traitement Sanatorial de la tuberculose en Egypte." Congrès Internat. du Caire, Tome V.
4.	1928.	Dr. R. Burnand.	"Sur le traitement du pyopneumothorar tuberculeux." Bulletins des Hôpitaux de Paris, No. 18.
5.	1929.	Dr. R. Burnand.	"Un cas de mort rapide après phrenicectomie chez un diabétique." Bulletins des Hôp. de Paris, No. 2.
6.	1929.	Dr. R. Burnand.	"Pneumothorax therapeutique mué en caverne pleuro-pulmonaire." Bulletins de Hôp. No. 6.
7.	1929.	Dr. Burnand et A. Raouf Hassan.	"Rapports des délégués Egyptiens relatifs à la VIme Conférence Internationale à Rome." Jr. Association Médicale Egyptienne, Vol. XII.
8.	1929.	Dr. Burnand et A. Raouf Hassan.	"La tuberculose et la lutte antituberculose en Egypte." Rev. de Phtisiologie, Tome X, No. 6.
9.	1932.	Dr. E. Zimmerli.	"Pneumolysis after Jacobeus." Jr. Egyptian Medical Association, Vol.XII
10.	1932.	Dr. Zimmerli & Ismail Choucry.	"Spontaneous Cures in Phthisis." Tubercle, May 1932.

11. 1928. A. Raouf Hassan. "Incidence of Tuberculosis Infection in Egypt. Some Problems Related to Antituberculosis Work." Congrès International de Méd. Tropicale du Caire, Tome V.

12. 1928. A. Raouf Hassan. Climatology and Seasonal Frequency of Haemophtysis in Helwan." Loc. Cit. Tome V.

13. 1932. A. Raouf Hassan. "Clinical Review, Illustrating Sanatorial Treatment in Helwan." Jr. Egyptian Medical Association. XIV.

14. 1932. A. Raouf Hassan. "Treatment of Tuberculosis in Sanatoria.' Loc. cit. Vol. XIII.

15. 1932. A. Raouf Hassan. "Tuberculosis in Egypt as a Public Health Problem." (Prize-winning paper in a competition.) Loc. cit. Vol. XV.

16. 1932. A. Raouf Hassan. "Tuberculosis and Diabetes (some clinical considerations)." Egyptian Medical Association.

17. 1932. A. Raouf Hassan. "Evolution of Medical Ideas about Tuberculosis through the Centuries." Egyptian Medical Association.

18. 1933. A. Raouf Hassan. "Phrenic Paralysis — Technic — Indications — Results." Egyptian Medical Association.

19. 1934. A. Raouf Hassan. "Oleothorax Treatment." Egyptian Medical Association.

20. 1934. A. Raouf Hassan. "Reorganisation of Fouad Sanatorium." (Detailed Report submitted to Antituberculosis Committee.) (D.P.H.).

21. 1940. A. Raouf Hassan. "Chest Wounds in War." Egyptian Medical Association.

١٠ ـ الاطباء الذين عملوا بالمصحة خلال العشرين عاماً الاخيرة

إن استعراض أسماء حضرات الزملاء المصريين المشتغلين بعلاج أمراض الصدر الذين انتسبوا إلى المصحة فى فترة من الفترات ، وساهمت المصحة فى تكوينهم الفنى ، ومايشغلونه الآن من مراكز ، لا يخلو من طرافة تستوقف النظر والمصحة فى عيدها العشرين من حقها أن تزهو بهم . فهم بلا جدال عماد المنشآت التى تتولى كفاح السل فى مصر . وأحدهم — حضرة الدكتور محمود العشرى - يشغل منصب مدير قسم الأمراض الصدرية بوزارة الصحة وهو الذى تنتظم المصحة بين وحداته المتزايدة .

ويسعدنى اليوم أن أحيي هؤلاء الزملاء الكرام باسم المصحة التى انتسبوا إليها خلال حياتهم العملية ، والتى تحتفظ لهم بأحب الذكريات .

الاسم	تواريخ العمل بالمصحة	الوظيفة التى يشغلها الآن
دكتور عبدالرءوف حسن	١٩٢٧-١٩٤٦	مدير المصحة الحالى .
« اسماعيل شكرى	١٩٢٧-١٩٣٧	طبيب أول مستوصف المبتديان بالقاهرة .
« محمود العشرى	١٩٢٧-١٩٣٧	مدير قسم الأمراض الصدرية .
« محمود شريف	١٩٢٨-١٩٤٦	وكيل مصحة فؤاد الحالى .
« عبد العزيز الشال	١٩٢٨-١٩٤٦	طبيب أول مصحة فؤاد .
« عرفان الأنصارى	١٩٣٠-١٩٣٢	يمارس المهنه حراً بادفينا .
« محمد كمال	١٩٣٠-١٩٣٢	توفى .
« محمد صبرى مرزوق	١٩٣٤-١٩٣٥	طبيب أول مستوصف دمنهور .

ثم ١٩٤٠

الاسم	تواريخ العمل بالمصحة	الوظيفة التى يشغلها الآن
دكتور أحمد عبد العزيز	١٩٣٥-١٩٣٦	مدير مصحة كوم الشقافة وطبيب المستوصف بالاسكندرية .
« عطوه ابرهيم منصور	١٩٣٥-١٩٣٧	طبيب أول مستوصف أسيوط .
« عبد الرحمن أدهم	١٩٣٥-١٩٣٧ و ١٩٣٩-١٩٤٠	توفى .
« سعد الدين حسن التاودى	١٩٣٥-١٩٣٧	إخصائى الأشعة بمصحة فؤاد . ومستشفى العباسية .
« عبد اللطيف حسن	١٩٣٧-١٩٣٨	مدير مستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية .
« محمود السيد سالم	١٩٣٧	طبيب أول مستوصف الزقازيق .
« على عزمى	١٩٣٧	طبيب أول مستوصف طنطا .
« حسين كامل	١٩٣٦-١٩٣٧	طبيب أول مستشفى المحلة الكبرى .
« على محمد زكى	١٩٣٦-١٩٣٨ و ١٩٤٢-١٩٤٣	طبيب أول مستوصف المنيا .
« على عبد الرحمن سليمان	١٩٣٦-١٩٣٧	« « « الخليفة بمصر .
« محمد السيد عمر	١٩٣٧-١٩٣٨	طبيب مستشفى الحميات بامبابة .
« يوسف جعفر	١٩٣٧-١٩٣٨	طبيب أول مستوصف دمياط .
« فؤاد ويصا	١٩٣٧-١٩٤٠	مدير مصحة الجيزة القروية .
« محمد السيد حسن شريف	١٩٣٨	طبيب أول مستوصف المنصورة .
« الأنور أمين محمد	١٩٣٩	مدرس بكلية الطب بجامعة فؤاد الأول .
« زكريا محمد خليفة	١٩٣٨-١٩٤٥	مدير مستعمرة الناقهين بالمرج .

الاسم	تواريخ العمل بالمصحة	الوظيفة التى يشغلها الآن
دكتور محمد بسيونى شلش	١٩٣٨-١٩٤٢	طبيب أول مستوصف شبين الكوم
« مصطفى مصطفى الطويلة	١٩٣٨	توفى .
« يوسف رشاد	١٩٣٨	طبيب بالبحرية الملكية المصرية
« محمد طنطاوى مباشر	١٩٣٨-١٩٣٩ ١٩٤٠-١٩٤١	طبيب أول مستوصف الفيوم
« متولى وهبه	١٩٣٨-١٩٣٩	توفى .
« محمد عبد الحميد الفقى	١٩٣٩-١٩٤٢ ١٩٤٤-١٩٤٥	طبيب أول مستوصف أسوان (فى بعثة دراسية الآن
« زكريا محمد مسعود	١٩٣٩	الجراح الإخصائى بمستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية
« محمد نجيب جنينة	١٩٣٩-١٩٤١	وكيل مستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية .
« جورج عطوة	١٩٣٩-١٩٤٢	يمارس المهنة حراً بالقاهرة .
« نجم الدين حافظ	١٩٣٩-١٩٤٥	طبيب مستوصف المبتديان . (فى بعثة دراسية الآن
« طه عثمان أحمد دنيا	١٩٤٠	طبيب بمستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية .
« أحمد سعيد	١٩٤١-١٩٤٣	طبيب أول مستوصف قنا .
« محمد شوكت بشر	١٩٤٢-١٩٤٣	طبيب أول مستوصف بورسعيد
« عبد العظيم رفعت	١٩٤٢-١٩٤٤	طبيب أول مستوصف شربين
« زكى حسين سامى	١٩٤٣	توفى .
« فيليب غبريال	١٩٤٣-١٩٤٥	توفى .

الاسم	تواريخ العمل بالمصحة	الوظيفة التى يشغلها الآن
دكتور محمد فؤاد خورشيد	١٩٤٣-١٩٤٥	طبيب أول مستوصف أسوان .
« ابرهيم عطية عيسى	١٩٤٤-١٩٤٦	طبيب بمستشفى المواساة بالاسكندرية .
« أمين احمد عبد ربّ النبي	١٩٤٤	طبيب بمستشفى الأمراض الصدرية بالعباسية .
« أحمد اسماعيل رزيقة	١٩٤٤-١٩٤٦	طبيب رمدى منتدب بالمصحة .
« مهدى عبد الفتاح	١٩٤٥-١٩٤٦	طبيب رمدى بالمجموعة الصحية ببولاق .
« كميل أحمد فوزى	١٩٤٥-١٩٤٦	طبيب بمستشفى كوم الشقافة بالاسكندرية .
« محمود فتحى قداح	١٩٤٤-١٩٤٦	طبيب بمصحة الجيزة القروية .
« سامى حبيب داوود	١٩٤٥-١٩٤٦	طبيب نائب بالمصحة.
« بديع حليم حلمى	١٩٤٥-١٩٤٦	طبيب نائب بالمصحة.
« محمد حمدى الدفراوى	١٩٤٦	طبيب امتياز بالمصحة .
« حلمى باسيلى بقطر	١٩٤٦	الجراح الإخصائى بالمصحة .

١١ — المصحة بين مصر الجديدة وحلوان

لقد سقتُ الحديث فى هذه الذكريات عن مصحة فؤاد الأول خلال عشرين عاما ، على نهج يسير من الرواية وسرد الوقائع .

وتأبى الحوادث إلا أن تجعل لقصة المصحة فى حلوان ختاما لا مناص من تسجيله هنا ، لأنه حَدَثٌ هام يتناول مصير المصحة ومستقبلها ، فلقد قرّ رأى ولاة الأمر فى وزارة الصحة على نقل المصحة من مكانها الحالى بحلوان إلى المستشفى الحربى الأمريكى القريب من مصر الجديدة «المعسكر الأمريكى - هَاكْسْتِبْ سابقاً» .

والمستشفى الجديد يتسع لأكثر من ألف سرير - أى ضعف سعة المصحة فى الوقت الحاضر .

وهو يقع فى منطقة صحراوية تبعد عن مصر الجديدة حوالى خمسة عشر كيلومترا إلى الشمال الشرقى ، بالقرب من الخط الحديدى الممتد إلى السويس ؛ ويتألف من سبعين بناء منفصلا من الأبنية الحربية المؤقتة ، روعى فى هندستها البساطة التامة ؛ غير أن المعدات الفنية والطبية التى تركها الأمريكيون بالمستشفى قبل رحيلهم تبلغ المستوى الرفيع الذى عُرف عنهم عند اضطلاعهم بمثل هذه المشروعات .

وستحتفظ المصحة باسمها بعد نقلها إلى مكانها الجديد ، وستتابع أداء رسالتها الإنسانية ، مسترشدة بماضيها الحافل بالتجارب ، فى هذه المنطقة الصحراوية التى اختارها لها ولاة الأمر فى وزارة الصحة ، بادئة صفحة جديدة من الكفاح الذى أَلِفَتْه ودرجت عليه ، وتمرّست به طوال هذه الأعوام .

غير أن انقطاع الصلة المادية بين مصحة فؤاد الأول وحلوان بعد هذا الأمد الطويل من الجوار والتلازم ، خليق بأن يستوقفنا قليلا ، نلتمس العبرة

ونستوحى الخبرة ، ونرد الحقوق إلى أهلها ، قبل أن نمضى من حلوان إلى مصر الجديدة ، فيشغلنا العمل لمستقبل المصحة فى مكانها الجديد عن الإفادة العملية من خبرة المصحة فى سنواتها العشرين التى قضتها فى حلوان ، فتضيع جهود بُذلت كان من حقها أن تسجل ، وتنسى دروس كان من الأجدى أن تستعاد وتستذكر ، ونحن فى بلد « كل شىء فيه يُنسى بعد حين ! ! » .

ولقد أوحت إلينا مناسبة نقل المصحة من حلوان وجوب تناول مستقبل حلوان الصحى ، وأوجبت علينا أن نتناول هذا الموضوع البالغ الخطورة ، مدفوعين بإحساس وطنى خالص ، إيماناً منا بأن التجاوز عن تسجيل رأينا الفنى فيه ، يعد إهمالا منا فى أداء رسالتنا الطبية ، وتفريطا فى حق الوطن علينا . وانقطاع الصلة بين المصحة وحلوان يستبعد نهائياً العامل الشخصى ، ويجعل لآرائنا صبغة قومية بحتة ، وهدفا إنسانيا صرفا ، ودافعا بريئاً من كل تحيز أو غرض .

وسنفرد القسم الأخير من هذه الرسالة للحديث عن مستقبل حلوان بعد نقل المصحة منها ، وسنتناول ما يتصل بذلك من اعتبارات صحية وآراء فنية ، نعرضها أداء للواجب ، وتقريراً للواقع ، وإرضاء للضمير ، لنضع تحت تصرف من يعنيهم الأمر نتائج خبرة عشرين عاما فى العلاج المصحى فى حلوان .

ولسنا نملك غير الرأى الفنى نبديه ، والنصح الخالص نسديه ، خالصاً لوجه الله والوطن ، وخدمة لمدينة حلوان الحبيبة إلى قلوبنا ، العزيزة علينا ، وقد شهدت معنا ميلاد مشروع إنسانى جليل ، فكر فيه وأمر بتنفيذه ، ملك ألمعى نافذ البصيرة ، سبق بوحى العبقرية خطى المشتغلين بالطب والصحة العامة منذ عشرين عاما ، ذلكم هو المغفور له ، حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول منشىء مصحة فؤاد الأول وراعيها ، طيب الله ثراه ، وجعل الجنة مثواه .

القسم الثالث

مستقبل مدينة حلوان الصحى فى الميزان

١ — أثر تبديل الهواء (الجوّ) فى علاج السل

ظل علاج الدرن بتبديل الهواء شائعاً خلال النصف الاول من القرن التاسع عشر ، ثم بدأت نهضة إنشاء المصحات فى أوروبا بأن افتتح « الدكتور برهمر » أول مصحة فى العالم فى سنة ١٨٥٩ فى « جربرز دورف » بالمانيا ، وتلاه « دكتور ڤالتر » فى « نورداخ » ثم « دكتور دتڤيلر » فى فلكنشتين سنة ١٨٧٧ ، وتسابقت الأمم الاخرى بعد ذلك فى إنشاء المصحات .

وكان السبّاقون فى هذا الميدان يعلقون أهمية بالغة على وجود المصحات فى المناطق الجبلية الممتازة بهوائها الجاف المنعش .

إلا أن هذه الحدود الضيقة التى التزمها هؤلاء الروّاد ، ما لبثت أن اتسع نطاقها على ضوء الخبرة وطول التجربة ، واستقر رأى المشتغلين بعلاج أمراض الصدر على فائدة الجو المعتدل الصحو ، الخالى من الرطوبة والأتربة وذرات الغبار والغازات الضارة ، فى علاج الأمراض الصدرية بوجه عام ، والسل الرئوى على الأخص .

ولا يوجد جو واحد يمكن اعتباره مثالياً يوافق جميع الأمراض وجميع مرضى الصدر ، فلكل مريض من المرضى جوٌ أكثر ملاءمة لحالته الخاصة ،

يحتاج فى اختياره الى خبرة بطبائع البشر ، وعلم بأماكن الاستشفاء ومعرفة ، بحالة المرض . وهذه الخبرة لا تكتسب بغير الصبر والممارسة والمهارة .

غير أن هناك مناطق خاصة تستمتع بجو ممتاز حقاً ، أكسبها شهرة عالمية ، وجعلها قبلة المرضى ، وموضع ثقة الأطباء ، لما ثبت بالتجربة الطويلة من فائدة جوها للمرضى وتأثيره الشافى لأمراضهم .

ولقد حدث تحوّل خطير فى علاج السل الرئوى خلال ربع القرن الأخير ؛ فالمصحات التى كانت تنشأ عادة فى المناطق الجبلية ، كان العلاج بها يرتكز على مدى استجابة المريض للراحة والتدرج فى المشى والغذاء الجيد ، فى جو صحى منعش تحت رقابة طبية . ولهذا كان علاج المرضى من السل الرئوى بالمصحات بطيئاً لا يستطاع تحديد مدته ، ولا إدراك مدى نجاحه ، لأن استعمال الأشعة فى المصحات لفحص المرضى لم يكن قد بلغ ما بلغه اليوم من كمال ودقة .

غير أن عملية الاسترواح الصدرى (Artificial Pneumothorax) وما تلاها من العمليات الجراحية الكثيرة التى تفرعت منها ، فتحت آفاقا جديدة من البحث العلمى المنتج ، وأثمرت نتائج علاجية رائعة ، جعلت للجراحة فى علاج السل الرئوى مكان الصدارة دون أدنى ريب ؛ واحتل الجو الصحى مكانة تتلو العلاج الجراحى فى المرتبة ، وإن لم يفقد أهميته البالغة ؛ إذ أن العلاج الجراحى لا يصلح لجميع الحالات ، وحتى الحالات التى تعالج علاجا ناجحاً بالجراحة ، تحتاج إلى فترة من الاستجمام والراحة ، واستكمال شفاء الجروح ، وامتصاص الإصابات الدرنية ، والتخلص نهائياً من آثار المرض ومضاعفاته الكثيرة فى أنسجة الجسم وأعضائه المختلفة .

والاعتبار الأخير يجعل لضاحية مشهورة بجوها الصحى الممتاز كحلوان ،

مكانا ملحوظاً بين أماكن الاستشفاء والاستجمام المعروفة فى مصر ، بل وفى العالم أجمع ، ويبين مدى الحاجة إلى توفير عدد كاف من الأسرة لعلاج مرضى السل الرئوى بالجراحة فى مصحات ومعاهد علاج تقام فى جو صحى مناسب .

وما دمنا بصدد تسجيل ذكريات عشرين عاما من العلاج المصحى فى مصر ، فمن حق القارىء أن يسألنا : أين نحن من استكمال ما يعوز البلاد من الأسرة المخصصة لعلاج السل فى مصر بعد كل هذه السنوات ؟

ومن واجبنا أن نقرر الواقع ، ونجيب على هذا السؤال بصراحة تامة . فليس فى وسع أحد أن يجادل فى أن عدد الأسرة المخصصة لعلاج السل فى المعاهد الحكومية سيظل إلى أمد بعيد قاصرا تماماً عن استيعاب ألوف المصدورين الذين يلتمسون العلاج بها فتضيق بهم ولا تتسع إلا لعدد محدود جداً منهم ، بحيث يظل المريض الصالح للعلاج منتظراً شهوراً إلى أن يحل دوره ، فتسوء حالته وتفوت فرصة إنقاذه من مرضه . . .

فعدد الذين يموتون بأمراض الصدر فى مصر سنويا لا يقل عن سبعين الفا ، منهم ثلاثون ألفا على الأقل يموتون بالسل . وفى المعاهدة الحكومية التى تعنى بكفاح السل فى الوقت الحاضر ألف ومائتان من الأسرة فقط ، فى حين تدعو الحاجة إلى عشرين ألفا من الأسرة على أقل تقدير .

فالبون شاسع والشقة بعيدة بين الموجود من هذه الأسرة فعلا ، والحد الأدنى لما يجب توافره فى البلاد منها . ومن الانصاف أن أقرر أن ولاة الأمر فى وزارة الصحة يدركون هذه الحقائق إدراكا تاما ، ويعملون جاهدين على توفير أكبر عدد مستطاع من هذه الأسرة فى حدود الممكن المستطاع ، والجمهور من ناحيته لا يمل المطالبة والالحاح فى محاولة الاستفادة من الأسرة الموجودة

فعلا ، وهى كما نرى قاصرة قصورا واضحاً وقليلة الى أبعد حد .

واذا كانت البلاد خلال عشرين عاماً قد أنشأت ألفا ومائتين من الأسرة ، فكم سيمضى من الزمن قبل أن يصبح عدد هذه الاسرة عشرين ألفا أو ثلاثين ألفا ؟؟ . سؤال خطير حقا ، سيظل بلا جواب أحقابا طويلة . .

إزاء هذه المشكلة الخطيرة التى تواجهها البلاد ، نشعر أنه من واجبنا الصريح أن ندلى برأينا الفنى فى هذا الموضوع ، ونعرض بعض الحلول على من يعنيهم الأمر ، يقينا منا أن ولاة الأمر سيعاودون معالجته كلما بدا لهم إنشاء وحدات جديدة لعلاج مرضى الصدر فى مصر ، وقد يجدون فيما نسجله اليوم ما يستحق التفكير والعناية فى المستقبل .

والاعتبارات التى قدمناها فيما سبق تبيح لنا أن ننتقل إلى النقطة التالية :

٢ — صلاحية جو حلوان لعلاج السل الرئوى

إن مدينة حلوان ، تلك الضاحية الوادعة الهادئة ، التى احتضنت مصحة فؤاد الأول عشرين عاما ، كانت أبر المناطق بصحة المرضى ، وأحناها على صدورهم ، ولقد استرد الألوف منهم العافية فى جوها الرائع البديع ، وأيدت خبرة المصحة الطويلة إيمان الجمهور بصلاح جوها لعلاج أمراض الصدر ، وقد كان هذا الإيمان موجودا قبل إنشاء المصحة ، ولكنه كان يرتكز على مجرد السماع والتواتر والشهرة ، فأصبح اليوم يستقر على سند ثابت من التجربة الطويلة والمشاهدات الدقيقة والنتائج العلاجية الباهرة (١) .

(١) سبق لنا أن عالجنا هذا الموضوع فى رسالة علمية عنوانها « علاج الدرن بالمصحات — العلاج المصحى بحلوان » نشرت بالمجلة الطبية المصرية عدد يونية سنة ١٩٣٠ . ويستطيع القارىء أن يجد فيها من التفصيلات مالا يتسع له المقام هنا .

وإنى لأعيد هنا رأيا لجناب الدكتور برناند ، مدير المصحة الأسبق ، فى إحدى رسائله العلمية التى نُشرت فى الخارج فى ذلك الحين حيث قال :

« منذ زمان بعيد ونحن نبحث عن مكان للاستشفاء فى أوربا يصلح لعلاج أولئك المرضى الذين لا يستطيعون تحمل البرد ، بأن تتوافر فيه شروط الدفء المستمر والجفاف ودرجة الحرارة المنتظمة ، على أن يكون خالياً أيضا من التقلبات المفاجئة والرطوبة وقت الأصيل . والى عهد قريب كان لزاما علينا أن نقر بالعجز عن العثور على مكان تتوفر فيه هذه الشروط فى أوربا .

أما حلوان ، فلا نزاع فى توافر ذلك فى جوها ، ولذا فانها تضيف طرازاً جديداً إلى قائمة أمكنة الاستشفاء التى بين أيدينا ، إتماما لما يعوزنا من هذه الأماكن .

ونستطيع أن نؤكد أنه من الممكن عمليا علاج السل فى مصر بنجاح فى أماكن مختارة وبالأخص بحلوان ، والنتائج العلاجية التى يحصل عليها المرء هناك — وكثيرا ما تكون سريعة ومدهشة — توازى من كل الوجوه ما يمكن الحصول عليه فى أحسن أمكنة الاستشفاء فى أوروبا »

وفى وسعنا — على ضوء الخبرة الطويلة — أن نؤكد صحة ما ارتآه الدكتور برناند ، وصواب حكمه ، صحة تقديره . . .

وإننا لنوقن بأن هذه القضية العلمية أصبحت من الوضوح بحيث لم تعد فى حاجة إلى الشرح أو الايضاح ، فتستبقى لحلوان الصدارة فى علاج أمراض الصدر ، حتى بعد نقل المصحة إلى مكانها الجديد ، ولن تتزعزع عقيدة المرضى فى جوها الشافى ، وسيتوافدون إليها يلتمسون الصحة والعافية فى ربوعها ؛ فى فنادقها ومساكنها ، كل حسب اقتداره المالى ، وحسب ميوله الخاصة ، وسيترتب على ذلك قيام مشكلة صحية خطيرة ، يحسن بنا أن نبادر إلى مناقشتها وجلاء نواحيها ، تنويراً للأذهان .

٣ — خطر وجود مرضى السل فى مراكز السياحة المشهورة

مصير حلوان بعد نقل المصحة منها .

إن شهرة حلوان كمشتى عالمى تتجه الأنظار إلى الإفادة من جوه البديع أمر مقرر معروف . وأسمح لنفسى كمواطن أن أتناول مصير حلوان من الناحية التى تمس اختصاصى ، بعرض الملاحظات التالية :

(أولا) مرضى السل الرئوى - كما أعرفهم - يتعلقون بأسباب الحياة ، ويكافحون مرضهم الخطير بشجاعة نادرة ، وصبر عجيب خلال سنوات طويلة ، ولا يتطرق اليأس إلى قلوبهم إلى آخر رمق من حياتهم ، ويدفعهم حب الحياة والتعلق بها إلى نوع من الأثرة . وهم فى سبيل الاستشفاء لا يبالون غيرهم ، ولا يحفلون بالعقبات ، ويندسون بين الأصحاء ، ويتظاهرون بأنهم أصحاء يشكون من نزلة شعبية عادية أولا يشكون من شىء مطلقاً . وهم إذ يخفون حقيقة مرضهم عمن يحوطونهم لا يتخذون أية احتياطات صحية تكفل إعدام الميكروبات التى يحتويها بصاقهم وإفرازاتهم ، فمثل هذه الاحتياطات الصحية يتعذر اتخاذها فى أكثر منازل المرضى ، وهى معدومة الوجود فى الفنادق والغرف المفروشة المعدة لسكنى الغرباء .

(ثانيا) يخطىء أبلغ الخطأ من يتوهم أن المسلول يجب أن يكون إنسانا هزيلا نحيلا يلح عليه السعال فى كل حين ، ويبدو مرضه الخطير واضحا على سحنته ....

تلك صورة ارتسمت فى أذهان الجماهير خطأ من رؤيتهم مرضى السل فى أدواره الأخيرة . فالمسلول العادى الخطر الذى ينقل المرض إلى الأصحاء ، إنسان عادى تماما ، كثيراً ما يكون مظهره الخارجى خادعا الى أبعد حدود

التصور ، بل قد يبدو فى الظاهر أتم عافية ، وأكثر نضارة ، وأثقل وزنا من كثيرين من الأصحاء .

وهناك ألوف من هؤلاء المرضى يلتمسون الاستشفاء حيث يستطيعون وحيث يريدون . وكثيرون من هؤلاء ستسمح لهم مواردهم المالية بارتياد حلوان والاستشفاء فيها حينما يريدون . فاذا حيل بينهم وبين الأمكنة المعدة لاستقبالهم وعلاجهم كمرضى ، سيقتحمون فنادق حلوان ومنازلها ومساكنها المفروشة ، وسيخفون مرضهم عمن حولهم ، وسيضطرون إضطراراً إلى إهمال التخلص من بصاقهم وإفرازاتهم بطريقة صحية وافية بالغرض ، مما يجعلهم خطراً صحياً أكيداً .

وهذه الحقيقة التى نذكرها ، صورة من الواقع ، لا نظن أحداً يستطيع إنكارها . ونؤكد — على مسئوليتنا — أنه من المستحيل عمليا معالجتها بتجاهلها وتناسيها والتهوين من خطورتها البالغة . ونبادر إلى تقديم ما بين أيدينا من مراجع نلتمس على هداها حلا للمشكلة التى ستواجهها حلوان فى مستقبلها القريب .

* * *

بعد الحرب العالمية الأولى ، نشطت فى فرنسا حركة إنشاء المصحات فى الأماكن المشهورة بجوها الممتاز ، وقام صراع عنيف بين بلديات عدد من مراكز السياحة الشهيرة بفرنسا وبين المشرفين على إنشاء المصحات .

ووصل النزاع إلى المحاكم ، وعرض جمهور الأصحاء قضيته بأسانيدها المعهودة المشهورة : تلويث الجو بميكروب السل ، وخطر العيش بالقرب من المصحات ، واختلاط الأصحاء مع المرضى فى وسائل الانتقال ، والنفور من رؤية المرضى والنظر إلى أبنية المصحات ولو على بعد ، وأخيراً سوء السمعة التى تصيب مراكز

السياحة من مجرد وجود المصحات ، حتى ولو كانت عديمة الضرر صحياً ، لاستكمال نظامها من كل الوجوه .

وأعدّ القائمون بإنشاء المصحات دفاعهم ، وحشدوا وثائق علمية لا سبيل إلى الشك فى صحة ما انطوت عليه من مبادىء تنقض تماماً حجج الفريق الآخر ، لأنها خلاصة آراء أساطين الطب فى فرنسا ، وقرارات لجان حكومية أُلّفت للفصل فى قضايا من هذا النوع أثيرت فى أمكنة متفرقة .

وأخيراً دُعى علم من أعلام الطب فى فرنسا ـ هو الدكتور لويس جينار (مدير مصحة بلينى الشهيرة) ـ لبحث هذا الموضوع وإبداء رأى فنّى حاسم فيه .

وفى سنة ١٩٢٨ نشر الدكتور جينار هذا البحث القيم [١] ، وفيه استعراض كامل لجميع نواحى هذا الموضوع الذى يعرض لنا اليوم فى مصر ، ويستحق منا شيئا غير قليل من العناية والاهتمام .

غير أن نطاق هذه الذكريات المحدود لا يسمح لنا بغير إيراد ملخص وجيز جداً للنواحى التى تنسجم مع سياق الحديث الذى نحن بصدده ، إيثاراً لما يقتضيه المقام من تركيز وإيجاز .

والنصوص التالية من بحث الدكتور جينار تستوقف النظر وتستحق التسجيل :—

(١) أصدرت أكاديمية الطب بفرنسا ، واللجنة الدائمة لكفاح السل القرار التالى : أى معهد لعلاج المسلولين يجب أن لا يعتبر من الأماكن

(١) Stations Climatiques pour Tuberculeux et Stations Touristiques - par Dr. L. Guinard. Revue de Phtisiologie 1928.

الضارة بالصحة ، إذ أنه لا يحدث أى ضرر للجيران ، بل بالعكس يعتبر وقاية لسكان المنطقة من انتشار السل .

(٢) فى مصحة فلكنشتين (بألمانيا) ومصحة ترودو (بأمريكا) ومستشفى برمبتن (بانجلترا) خلال عشرين عاماً ، لم تحدث أية إصابات بالسل بين أطباء المصحات وعمالها .

(٣) فى قرية جربرزدورف (بألمانيا) حيث أنشئت ثلاث مصحات خلال ثلاثين عاماً هبطت نسبة الوفيات بالسل بين سكان القرية إلى النصف .

(٤) فى (داڤوس) بسويسرا - وهى قرية مكونة من عدد لا يحصى من المصحات ، هبطت نسبة الوفيات بالسل بين أهلها خلال عشر سنوات الى ١,٣ فى الالف ، فى حين بلغت نسبة الوفيات بالسل بين أهالى قرية «برجن» ٢,٠٨ فى الألف ، والأخيرة قرية مجاورة خالية تماما من المصحات .

(٥) لا يوجد خطر مطلقاً من إنشاء مصحة فى أى منطقة صحية على السكان الأصحاء ، ولكن الخطر الأكيد الوجود هو تسرب المسلولين الى مراكز السياحة ، يندسون بين الأصحاء دون رقابة أو رعاية صحية .

(٦) إننا نفهم وجهة نظر أولئك الذين يريدون أن يبعدوا المرضى من مراكز السياحة والرياضة ، ونعرف حججهم كلها ، ولانريد أن نخاطب ضمائرهم وشعورهم الانسانى الذى أباح لهم مطاردة المرضى وحرمانهم من التماس الشفاء ، ولكننا نستطيع أن ندلهم على خطأ مادى قد وقعوا فيه ، حين فضلوا غواة السياحة والرياضة على المرضى ... أى الفريقين أجدى ماديا ، طلاب اللهو المتقلبو الأهواء ، أم المرضى الاوفياء الذين تضطرهم ظروفهم الصحية إلى قضاء فترات طويلة فى المكان الذى اختاروه للاستشفاء ؟ ؟

(٧) من الخير للطرفين ، أن يكون لكل مركز من المراكز طابع خاص يميزه عن سواه . فإما مركز لعلاج المرضى بعيد عن المغريات ، وإما مكان للسياحة والرياضة لا يتسلل إليه المرضى متسترين ينشرون العدوى فى محيطهم، دون رقابة أو وقاية صحية .

هذا هو المبدأ الذى نشير به كل عملى يجب الاسترشاد به فى حل هذه المنازعات التى لا سبيل الى حلها بغيره .

ويختم « الدكتور جينار » بحثه بهذه الخلاصة ننقلها بنصها عنه ، حتى تحمل معها وزن رأيه ، وصدى خبرته الطويله : (١)

« لهذه الأسباب نقرر ما يلى :

حق مرضى السل فى الاستفادة من الاجواء والمراكز التى اعتادوا ارتيادها — والتى ثبتت فائدتها العلاجية لهم ثبوتاً قاطعاً — حق طبيعى مقرّر واجب الاحترام ، ويتحتم أن يظل مقدما على كل اعتبار سواه .

ولكى نوفق بين وجهات النظر المتعارضة نوصى بما يأتى :

(أولا) يجب التفريق بين أماكن السياحة وبين مراكز علاج مرضى السل ، والعمل على احتفاظ كل منها بطابعه الخاص ، كلما أمكن ذلك .

(ثانيا) تجب حماية أماكن السياحة ضد غزو المرضى الظاهر أو المستتر ، وتتخذ الوسائل الكفيلة بعدم تطورها الى مراكز مختلطة أو مراكز لعلاج مرضى السل .

(ثالثاً) فى الاجواء الممتازة ، وبالأخص حول المصحات التامة التنظيم ،

(١) تراجع الصفحات ٣٠٤ و٣٠٥ من المجلد الذى أشرنا اليه فيما سبق .

نشير بإنشاء وتحسين مراكز لعلاج المرضى، حيث يجدون البيئة الهادئة الضرورية لمتابعة علاجهم كما ينبغي .

(رابعاً) فى مراكز علاج مرضى السل ، وفى أماكن السياحة المعرضة لاختلاط المرضى والأصحاء بها ، يتعين فرض رقابة صحية ، واتخاذ الاحتياطات الوقائية، والقيام بالتطهير اللازم، لوقاية السكان والغرباء من انتقال العدوى إليهم .

ونرى من المفيد إيراد نص ما يشير به « الدكتور لويس چينار » من الاحتياطات الوقائية الواجب تطبيقها فى مثل هذه الاحوال ، فهى فى رأينا تستحق التسجيل ، لأننا سنشير اليها فيما بعد حين نعرض لبحث مستقبل حلوان من الوجهة الصحية .

يوصى الدكتور چينار بما يلى :

« توضع القرارات الإدارية التالية موضع التنفيذ والإلزام :

(١) يُحرم تحريماً قاطعاً البصق على الأرض ، فى المساكن والحدائق والطرقات والسيارات العامة وعربات الترام أو قطارات السكة الحديدية الخ .

(٢) يُلزم أصحاب الفنادق والمساكن المفروشة بإجراء تطهير كل غرفة يشغلها ساكن بضعة أيام ، سواء أكان مريضا أم سليما .

(٣) فى كل الفنادق والبنسيونات يجب تطهير أدوات المائدة (الاطباق وغيرها) بغليها فى الماء المضاف اليه قليل من الصودا .

(٤) تعيين مفتشين صحيين لمراقبة نظافة الفنادق « والبنسيونات » والغرف المؤجرة ، وبالأخص الاماكن المرخص لها بقبول المرضى . وفى هذه الأماكن يجب إلزام المرضى باستعمال مباصق الجيب ، لضمان التخلص من البصاق بطريقة صحية .

(٥) ولضمان تنفيذ هذه الاشتراطات الصحية يجب إنشاء مكتب صحى خاص، ومركز تطهير فى كل مركز من هذا النوع» .

(انتهى مانقلناه عن رسالة الدكتور جينار .)

وعلى ضوء هذه الاعتبارات التى قدمناها ، يتقاضانا الوفاء لحلوان والبر بها والرغبة الصادقة الأكيدة فى خدمتها ، أن نعرض مشروعا فكرنا فيه مليا ، واستخلصناه من نتائج خبرتنا بعقلية مرضى السل ، وعلمنا بميولهم ونزعاتهم ، وإدراكنا مبلغ حاجة البلاد إلى الاستزادة من الاماكن الواجب تخصيصها لعلاج مرضى السل ، الذين تضيق بهم المصحات الحكومية ، أو الذين ألفوا جو حلوان وأعتادوا قضاء الشتاء فيها .

٤ — مشروع تخصيص المنطقة الشرقية من حلوان

لإنشاء مركز علاجى للسل وغيره من الأمراض

إن المشروع الذى نعرضه اليوم — فى يقيننا — واضح الهدف ، ميسور التنفيذ ، له صبغة عملية ، وله نظائر كثيرة فى بلاد الغرب ، ونعتقد مخلصين أنه قد آن أوان الأخذ بالمبادىء العامة التى ينطوى عليها .

ونرجو القارىء الكريم الذى قرأ العنوان ، وشعر بأن من حقه أن يخالفنا فيه ، أن يتمهل قليلا ليستمع إلينا إلى النهاية ، فما يضيره أن يستمع إلى حديث امرىء يعرض قضية إنسانية تدخل فى صميم عمله الفنى ، مجرد عرض ، ويترك للأيام الحكم لها أو عليها . . .

ويتلخص المشروع فيما يلى :

(أولا) تُقسّم حلوان الحالية إلى منطقتين : إحداهما شرقية والأخرى غربية ، يفصلهما شارع عريض متسع يقع فى مكان شريط السكة الحديدية الذى تخترق المدينة فى الوقت الحاضر وعلى جانبيه ، على أن يمتد هذا الشارع فى اتجاه قبلى إلى أن يجاوز مكان الحمامات الكبريتية .

(ثانياً) المنطقة التى تقع شرقى هذا الشارع المتسع تحدها تلال المقطم من الشمال والشرق ، وموقعها إلى الجنوب والشرق من المنطقة الغربية التى تقع حول الينبوع الجديد . وهذه المنطقة هى التى نقترح تخصيص جزء منها للمرضى(١) ، بحيث يصبح هذا الجزء مع التطور التدريجى مركزاً علاجياً لأمراض الصدر وغيرها من الأمراض التى تحتاج إلى جو صحى جاف ، على غرار مئات المراكز العلاجية المشهورة فى بلاد الغرب(١)

(ثالثاً) يكون امتداد حلوان العمرانى إلى الغرب ، وتنشأ مدينة حديثة الطراز حول الينبوع الجديد إلى الغرب وإلى الشمال ، فى أملاك الحكومة المتسعة الأرجاء . ومن الميسور نقل الحمامات الكبريتية من مكانها الحالى إلى موقع مناسب قريب من هذه المدينة الناشئة ، وهذا النقل عمل هندسى يسير الحل نترك تفصيلاته للمختصين . وتكون المنطقة الواقعة حول الحمامات الكبريتية فى مكانها الجديد مخصصة لأمراض الكلى والأمراض الروماتيزمية وغيرها من الأمراض التى تصلح للعلاج بالحمامات الكبريتية .

والذين يعرفون حلوان جيداً يوافقوننا على أن المنطقة التى نقترح تخصيصها محدودة الرقعة ، ولا تصلح للامتداد العمرانى ، ولكنها تصلح تماماً لاستغلالها للأغراض الطبية التى أسلفنا الإشارة إليها .

---

(١) نقترح عرض هذا المشروع على لجنة مؤلفة من أطباء متخصصين فى الصحة العامة ومهندسين متخصصين فى تخطيط المدن لتحديد المنطقة التى تراها اللجنة صالحة لانشاء نواة هذا المركز العلاجى فى شرقى حلوان .

ونقترح تطبيق المبادىء التالية فى هذه المنطقة :

١ — يباح فى المنطقة الشرقية إنشاء المستشفيات العامة والخاصة (كمستشفى للحميات) والمصحات (للسل الرئوى والجراحى) ودور العلاج الحكومية وغير الحكومية ، على أن تكون جميع هذه المعاهد خاضعة للرقابة الصحية التى تتولاها وزارة الصحة ، وتوضع لها اللوائح الصحية والاشتراطات اللازمة التى تكفل ضمان استمرار الرقابة الصحية عليها من كل الوجوه .

٢ — لا يباح فى هذه المنطقة إنشاء المدارس من أى نوع ، أو الفنادق أو المساكن المفروشة المعدة للأصحاء ، أو دور الملاهى أو الساحات الرياضية .

٣ — تطبق فى هذه المنطقة الاحتياطات الصحية التى أشـــار بها جناب الدكتور لويس جينار ، وأوردناها فى الفصل السابق . . .

هذا هو الهيكل العام للمشروع ، وله مزاياه ومبرراته ودواعيه . فالمنطقة الشرقية من حلوان من أصح الأماكن الصالحة لإنشاء المصحات فى مصر ، فهى قريبة من القاهرة ، وسهلة المواصلات ، واستغلالها لاستشفاء المرضى عمل إقتصادى يدرّ ربحاً وفيراً ويوجد عملا لعدد كبير من المواطنين ، وفائدة هذا المشروع لا تعود على المرضى وحدهم بل على الأصحاء أيضاً ، ففيه وقاية عملية لسكان المدينة الحديثة المقترح إنشاؤها فى المنطقة الغربية .

وقد سبق لنا أن أثبتنا فى الفصل السابق أن المناطق التى تنشأ فيها المصحات تهبط فيها الوفيات بالسل بين السكان بدل أن تزيد . ومن سداد الرأى أن تخصص منطقة للمرضى يقصدونها متطوعين طلباً للعلاج تحت رقابة صحية ، بدل تركهم يتسللون إلى المدينة الجديدة متسترين ينشرون العدوى دون رادع ولا وازع .

وأود فى هذه المناسبة أن أخاطب ضمائر الأصحاء فى صراحة تامة . هؤلاء

السعداء بما أفاء الله عليهم من صحة وعافية ، كيف يصح فى شرعة الإنصاف أن يغالبوا المصدورين المنكوبين فى صحتهم على منطقة صحية قام الدليل الحاسم على فائدتها فى علاج أمراض الصدر ؟ ومَن من الأصحاء أخذ على الأيام عهداً ألاّ تلجئه يوما ما إلى التماس العلاج من مرض صدرى يصيبه أو يصيب أهله أو بنيه أو أقاربه ، أو أصدقاءه أو أحباءه ؟

كم أحب أن يصل صوتى إلى القلوب الرحيمة والضمائر الحية والعقول الراجحة لتستمع إلى هذه القضية الإنسانية وتتدبر ما فيها من منطق معقول مقبول . . .

وإنى لأعرف تماما ما سيعترض به المعترضون على تنفيذ هذا المشروع ، وفى وسعى أن أؤكد لهم — تحت مسئوليتى وفى حدود خبرتى — أن المشروع سليم الأسس تماما من الناحيتين الصحية والاقتصادية . وكل الاعتراضات التى ستلقاه ترتكز على مخاوف نفسية وأوهام علقت خطأ بأذهان الجماهير . . .

سيقول بعضهم جادا :

« ابحثوا للمسلولين عن مكان سحيق فى جوف الصحراء بعيداً عن العمران واعزلوهم فيه حتى لا نراهم فى قطار حلوان ، فتقذى عيوننا بمرآهم ، ونتعرض للعدوى من جراء اختلاطنا بهم اثناء الطريق !! »

وسيقول آخرون :

« إن اجتماع عدد كبير من المسلولين فى منطقة محدودة سيلوث الجو بالميكروبات ، وسيجعل العيش فى جوارهم خطراً على الاصحاء !! »

وسيقول آخرون :

« إن تخصيص هذه المنطقة الشرقية للمرضى سيخيف الأصحاء ، من قصاد حلوان فى الشتاء ، فيقل الأقبال عليها . . »

وسيقول آخرون :

« إن رؤية المصحات ولو من بعيد يثير الأعصاب ويولد المخاوف ، وما يقوله هؤلاء الأطباء لتهدئة خواطرنا حديث خرافة ... »

وإلى هؤلاء جميعاً أقدم الحقائق التالية فى إيجاز ، ليعرضوا مخاوفهم على ضوئها :

السل الرئوى أوسع الأمراض انتشاراً ، والمصابون به فى مصر حوالى ربع مليون فى أدواره المختلفة ، ويستحيل استحالة تامة عزل المرضى به فى مكان سحيق حتى يشفوا أو يموتوا . وعدواه فى كل مكان ، يتعرض لها الأصحاء مرارا كل يوم فى الطرقات وعربات الترام ووسائل النقل الأخرى ودور الاجتماع العامة كالمساجد والكنائس والمطاعم والمقاهى ودور الملاهى ... وقد يستطاع عزل عدد محدود جدا من المرضى الفقراء فى مكان سحيق ، أما ألوف المسلولين المستترين الذين سبق لنا أن أشرنا إليهم فلا سبيل إلى عزلهم مطلقا . ومن حسن الحظ أن هذه العدوى المستمرة لا تسبب أعراض المرض إلا لعدد ضئيل من الأصحاء المستعدين للمرض تحت ظروف خاصة ، ولولا ذلك لأهلك السل سكان الكرة الأرضية فى بضع سنين ...

والأجواء لا يلوثها ميكروب السل فى مراكز العلاج مطلقا ، وأطباء المصحات وعمالها أقل الطوائف إصابة بالسل الرئوى والوفيات بالسل بينهم أقل من أية طائفة أخرى (يراجع ماذكرناه عن هذا الموضوع فى الفصل السابق)

وها هى ذى وزارة الصحة تنشىء مستوصفات الأمراض الصدرية فى الأحياء الآهلة بالسكان حيث يتردد مئات المسلولين يوميا ، ولم يقل أحد إن الجو حول هذه المعاهد ملوث بميكروب السل ...

وفى الأجواء التى يغمرها ضوء الشمس باستمرار كجو حلوان يموت

ميكروب السل فى بضع دقائق بحيث يصبح جوار المصحات مأمونا تماما لا خوف منه على الأصحاء مطلقاً . . .

أما ضعف الإقبال على حلوان بسبب وجود منطقة مخصصة للمرضى بجوارها ، فإنى أسأل من يلوذون بمثل هذا المنطق : أيحب أحدكم أن يأوى إلى منزل توجد فيه حية رقطاء فى صندوق محكم الإغلاق ، أم تؤثرون أن تترك هذه الحية طليقة تختفى حيث شاءت ، فلا تقذى عيونكم بمرآها الكريه ، رغم شعوركم الدائم بوجودها ؟؟

وعلى هؤلاء الذين يخشون ضعف الاقبال على حلوان الحديثة التى ندعو إلى إنشائها على الوجه الذى اقترحناه ، أن يهدأوا بالا ، ففى بلاد الغرب مئات من هذه المراكز العلاجية المزدهرة التى نرجو أن يكون فى مصر عشرات من مثيلاتها ، تجاورها مدن عامرة زاخرة بالحياة يقصدها مرتادوها دون خوف أو وجل . والرأى العام المصرى إذا استنار بتطور الزمن وانتشار الثقافة سيرى الحقائق ويؤمن بها ويسير على هداها دون أدنى ريب . . .

أما أولئك الذين يتشاءمون من السل ولا يطيقون سماع اسمه أو رؤية معاهده ولو على بعد فلا حيلة لنا معهم ولا فائدة من محاولة إقناعهم بالمنطق أو بتقرير الحقائق العلمية الثابتة ، فهذه المحاولات من جانبنا جهد ضائع هباء . . .

« إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء . . . »

ولقد عرضنا مشروعنا وأوضحنا مزاياه ، وحاولنا أن نبدد بعض الأوهام الشائعة حول انتقال عدوى السل .

وإنا لنرجو مخلصين أن لا يبطىء اليوم الذى نرى فيه حلوان مزدهرة نامية ينعم الألوف بجوها الرائع البديع ، فقد استوفت فى الماضى نصيباً غير عادل من الإغضاء والنسيان .

٥ — تعقيب وختام

لقد آن لى أن أختم هذه الصفحات كما بدأتها بأرق مشاعر الحنين لمصحة فؤاد الأول ، ذلك المعهد الذى تتجاوب ذكرياته فى نفسى خلال السنوات الطويلة التى قضيتها بين جدارنه ، فيمتلىء قلبى إيماناً بالله ، واعتماداً عليه ، ويقيناً ثابتاً بقدرته .

لقد شهدتُ هذه المصحة الناشئة تنمو وتزدهر وتتخطى العقبات وتذلل الصعاب بفضل المثابرة والصبر والإيمان بالله .

وراقبت ألوف الأجسام النحيلة الهـــزيلة والوجوه الباهتة الشاحبة ، والأعصاب المحطمة والأنفس القلقة التاعسة يدركها الله برحمتـه وبرّه فاذا نحولها وشحوبها وقلقها يستحيل إلى أجسام مكتنزة ووجوه ناضرة ونفوس قانعة مستبشرة راضية . . .

وكم وقفتُ حيال مريض شفّه الداء ، وعاث السل فى رئتيه عاتياً جباراً ، فأعلنت يأسى منه ، وعجزى عن إنقاذه وقلت لأهله : «خذوه ، فالله موجود!!» وأنا أقولها اليوم وأرددها بإيمان وثيق ، فلقد عاد لى بعض هؤلاء الهالكين فى اعتقادى ، وقد أثبت الله وجوده وقدرته ورحمتـه بأن ردّ إليهم عافيتهم وخلق لهم عمراً جديداً ، حين عجز العـــلم وأفلست الخبرة وقال الطب كلمته الأخيرة . . .

وكم أقبلتُ على علاج مريض عزيز كريم وقد خُيّل إلىّ أنه يسير إلى الشفاء بخطى سريعة ثابتة ، وأن فى وسعى أن أطمئن إلى صحة تقديرى وصدق فراستى ، فإذا الله يريد غير مايريد العبد ، وإذا المضاعفات تتوالى والحالة تسوء ويقف الطبيب عاجزاً خاشعاً مؤمناً بالله مستسلماً لقضائه وقَدَره . . .

وإنى لأستعيد — وأنا أخط هذه السطور — ذكريات ألوف من الصور التى تمثل الصراع بين السل وبين بنى وطنى ، كل منها يرسم صفحة حياة إنسانية تتميز بطابعها الخاص ، فيبدو لى أن أروع ما صادفنى فى حياتى العملية ، صور أولئك المرضى الذين ملأ الإيمان بالله قلوبهم ، لا فرق بين دين ودين — كلهم سواء فى رباطة الجأش ، واستقبال الخير والشر ، بل الحياة والموت ، وقد خلع عليهم الإيمان جلالا مؤثراً حقاً ، يهز القلوب ويستولى على المشاعر . . .

فلتكن رسالة المصحة فى ختام عامها العشرين إلى مرضاها الذين استردوا عافيتهم فى رحابها أطيب التمنيات ، وإلى مرضى السل عامة رسالة الأمل فى الشفاء المقرون بالصبر والإيمان بالله ، فليس أقتل من اليأس والقلق وتزعزع العقيدة لمرضى السل فى صراعهم الرهيب . وفى وسعى أن أؤكد لهم أن السل مرض قابل للشفاء ، بل هو أكثر الأمراض قبولا للشفاء . والفكرة الخاطئة التى رسخت فى أذهان الجماهير عن استحالة شفائه وهم بدده العلم ، وأثبتت عكسه ألوف حالات السل التى شفيت ، وعاد أصحابها إلى حياتهم العادية بعد علاج قد يطول أحياناً ، ولكنه خليق أن يرد إلى المريض عافيته إذا سارع إلى العلاج قبل أن يستفحل الداء ويعز الدواء . . .

ومستوصفات الأمراض الصدرية ، المنتشرة الآن فى جميع أنحاء البلاد تفحص المرضى مجاناً ، وتبذل لهم النصح وتوجههم إلى معاهد العلاج التى تناسبهم . ولقد شهدت فجر نهضة كفاح السل فى مصر ، وفى وسعى أن أسجل هنا أن الخطوات التى خطتها البلاد فى هذا السبيل خطوات موفقة سديدة ، فقد تطور الرأى العام تطوراً ملائماً وتنبه إلى خطورة مشكلة السل فى مصر ، وأقبل الجمهور إقبالا رائعاً على التبرع « للجمعية النسائية لتحسين الصحة » حين دعته

إلى تمويل مشروعها الاجتماعى الذى يهدف إلى إعانة عائلات المسلولين فى مصر. وآمن الناس بجدوى العلاج المصحى، وتزاحم المرضى على أبواب المصحات يلتمسون العلاج بها، ويلحون فى المزيد منها، واستجاب ولاة الأمر لهذا الرجاء وهذا الالحاح بوضع مشروعات كثيرة، لزيادة عدد المعاهد المخصصة لعلاج مرضى السل والعمل على تنفيذها.

ولقد سبق لى أن قلت فى ختام إحدى المحاضرات العامة التى ألقيتها فى أول العهد بكفاح السل فى مصر: «واعتقادى أنه لاسبيل إلى إصلاح جانب من جوانب الحياة فى أمة ما، إلا إذا شعر أفرادها بالحاجة إلى هذا الاصلاح، وأدرك الكل مداه.»

وقد كان يبدو لى أن ذلك القول حين قلته بصدد مشكلة السل، أمنية من الأمانى وحلم من الأحلام.

وإنى لأشعر باغتباط لا يوصف حين أرى اليوم كيف تحققت هذه الأمنية وصحّت هذه الأحلام...

ولتكن كلمة الختام: دعاء خالصاً أتوجه به إلى الله العلىّ القدير — يردده معى ألوف المصدورين وأهلهم وذووهم — أن يجزل الثواب لمنشىء مصحة فؤاد الأول، الملك المصلح المغفور له حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم فؤاد الأول، وأن يحفظ بعنايته ورعايته حضرة صاحب الجلالة المليك المعظم، فاروق الأول، الرائد الأول فى ميدان الإصلاح الاجتماعى فى مصر، مناط الرجاء لهذا الوطن الحبيب، إنه سميع مجيب؟

Mais les acclamations joyeuses et reconnaissantes continuaient.

Après cette journée, tout marcha bien. Pourtant nous eûmes encore quelques fameux ennuis avec les égoûts !.. Mais j'espère que la plantation d'eucalyptus que l'on projetait alors a donné une forêt magnifique et se charge aujourd'hui de pomper les eaux contaminées !

Ce fut un jour bien mélancolique que le jour des adieux, à la fin de l'été de 1929. Les circonstances m'obligeaient à partir: la santé de Madame Burnand, l'éducation de nos cinq enfants étaient des motifs déterminants. Pourtant, avec quelle joie ne serais-je pas resté quelques années de plus, pour collaborer à la création de dispensaires antituberculeux, ou d'autres établissements de cure!

Notre séparation d'avec les malades, d'avec tous nos amis égyptiens, très émouvante, ne fut pourtant qu'une séparation matérielle. Nos pensées restent en contact incessant avec un pays qui fut pendant trois années comme notre patrie. Vous m'avez écrit aujourd'hui, mon cher Moudir. Votre enveloppe contenait des photographies témoignant de votre travail intense et fructueux. Permettez-moi de vous féliciter pour ce bel effort et ces magnifiques succès. Je sais le sanatorium Fouad entre bonnes mains, et rien ne saurait me combler davantage de satisfaction et de reconnaissance envers Dieu, que de savoir que notre grand travail de pionniers, il y a vingt ans, n'a pas été vain, mais qu'il a porté de tels fruits, au bénéfice d'un pays que nous ne cesserons jamais d'aimer, les miens et moi.

Veuillez dire à tous nos amis d'Egypte et d'Hélouan nos pensées les plus fidèles et nos vœux pour l'avenir de votre beau pays, et en particulier du sanatorium Fouad Ier et des malades qui viendront y retrouver la santé.

Cordialement à vous

Dr. R. Burnand.

Vous vous souvenez, mon cher ami, des efforts que nous dûmes déployer. Le ministère des Wakfs se montrait complaisant à nos incessantes sollicitations; et nos chers collaborateurs quotidiens, Ibrahim pacha Fahmi, le Dr. Salem bey Hindawi, le Dr. Nazim, nous encourageaient de leur cordialité. Mais par instants, nous sentions peser sur nos épaules et sur nos cœurs un fardeau trop lourd. Il semblait que la tâche fût irréalisable dans le temps très court dont nous disposions. Mais au fond de nos consciences une petite phrase revenait sans cesse, insistante: « Il faut sauver les tuberculeux égyptiens. » Un autre sentiment nous portait et nous liait: celui de la responsabilité dont le souverain d'Egypte, le grand Roi Fouad Ier nous avait fait l'honneur de nous charger. Nous avions envers lui le devoir de persévérer. C'est ainsi que, peu à peu, grâce à la collaboration de tous, le sanatorium devint apte à remplir son rôle. Les malades succédaient aux malades. Beaucoup guérissaient. Le climat désertique s'avérait excellent pour les phtisiques, surtout en hiver. Même en été, saison pendant laquelle vous dirigiez avec énergie et conscience le sanatorium, les progrès ne ralentissaient pas. Ces faits démontraient la clairvoyance du Roi Fouad, qui avait le premier songé à installer son sanatorium à Hélouan.

Vous souvenez-vous, mon cher Confrère, de l'inoubliable journée d'inauguration, le 19 février 1928? Ce fut là la récompense de nos peines. Le temps était radieux, comme toujours en votre beau pays. Toutes les notabilités du Caire étaient présentes pour entourer le Souverain, et l'éminent ministre des Wakfs, El Gharably pacha lui remit en dédicace « son sanatorium ». Le roi parcourut les services, disant un mot affectueux aux malades. Il admirait la bonne tenue des employés, la propreté des dortoirs. Les moustiquaires étaient ornées d'un ruban rose, chez les dames — et bleu chez les messieurs. Même les crachoirs avaient été décorés. Le roi, me demanda: « Est-ce toujours comme çà? » Cette question me mit dans un certain embarras !

Les malades acclamaient el Malek du haut des galeries quand il pénétra dans le jardin. Il me dit alors, plein de sollicitude: « Dites-leur de ne pas crier; cela va fatiguer leurs poumons. »

Texte d'une lettre reçue de Mr. le Docteur René Burnand, Premier Directeur et Organisateur du Sanatorium Fouad Ier, Hélouan.

Lausanne, le 8 juin 1946.

Mon cher Docteur Abd el Raouf,

Vous voulez bien me demander un article pour la brochure commémorative que vous consacrez aux 20 premières années du Sanatorium Fouad. Il me semble préférable de vous écrire à cette occasion une lettre, et je serai très heureux de voir le texte de celle-ci figurer au nombre des travaux, récits, commémorations diverses qui composeront cette brochure.
écits, commémorations diverses qui composeront cette brochure.

Car je me sens lié par une profonde amitié et un constant intérêt au destin du sanatorium que nous avons organisé en commun pendant les dures et belles années 1926-1929. Que de souvenirs cette période de ma vie n'évoque-t-elle pas dans mon esprit! Nous arrivions de Suisse, pays de prairies, de forêts et d'eaux courantes — et nous nous trouvions tout à coup transportés dans la nature torride et sèche du désert. Notre futur sanatorium n'était encore qu'une ruine. Il fallut d'abord trouver un gîte pour la famille, pour ma femme, de santé délicate, pour nos cinq enfants dont le dernier n'avait pas un an. Nous choisîmes Maâdi, sorte de paradis. Mais au bout d'un mois, Madame Burnand me dit: « Non, nous ne resterons pas dans ce paradis. Nous sommes venus en Egypte pour les malades; allons vivre auprès d'eux. » Et nous nous transportâmes au sanatorium d'Hélouan, où le ministère nous avait réservé un charmant appartement. Il fallut en même temps apprendre l'arabe; langage qui n'est pas précisément facile. Mais bientôt nous apprîmes à dire au moins **mâlech**! et ce mot nous fut parfois d'un grand secours, si bien que je l'ai introduit en Suisse! Il fallut nous adapter à notre nouveau milieu, et surtout, travailler activement à l'organisation de l'immense maison qui devait devenir d'urgence le refuge des malheureux tuberculeux d'Egypte.

المحتـــــويات

الصفحة

الإهداء ٣

إليها ... (قصيدة الإهداء) ٥

تقديم — ترجمة رسالة من جناب الدكتور برناند ٩

تمهيد وإيضاح ١٣

القسم الأول — عهد وزارة الأوقاف — الادارة السويسرية .

١ — قصة مبنى المصحة وتاريخه ١٧

٢ — فكرة تخصيص المبنى لمرضى السل ١٩

٣ — اختيار المدير السويسرى الأول (دكتور برناند) ٢٢

٤ — الصعاب الأولى . المكافحون الأبطال ٢٥

٥ — الصيف الأول العصيب ٢٨

٦ — إفتتاح المصحة الرسمى ٣٣

٧ — أول مؤتمر دولى لكفاح السل تمثل فيه مصر ٤٢

٨ — استعراض وجيز لجهود المصحة فى سنواتها الثلاث الأولى ٤٥

٩ — تعريف بجناب الدكتور رينيه برناند ٤٩

١٠ — المدير السويسرى الثانى . (الدكتور إريك زيمرلى) ٥٠

١١ — استعراض وجيز لحالة المصحة أثناء الثلاث السنوات الثانية ٥١

ملحق تاريخى — التقريرات المرفوعة إلى الحكومة المصرية

عن المؤتمر السادس للاتحاد الدولى ضد السل ٥٥

الرسالة التى قدمها مندوبو مصر إلى المؤتمر ٦٣

الصفحة

القسم الثانى — عهد وزارة الصحة — الإدارة المصرية . ..

١ — تمهيد ٦٩

٢ — فترة انتقال — تمصير الإدارة ٧٠

٣ — إيضاح واجب ٧٢

٤ — عمليه تفريغ الكهوف الرئوية ٧٤

٥ — نمو المصحة التدريجى فى عهد وزارة الصحة ٧٥

٦ — بيان إحصائى عن حركة قبول المرضى بالمصحة ٧٧

٧ — بيان إحصائى عن نفقات المصحة وإيراداتها ٧٨

٨ — نشاط المصحة العلمى والثقافى ٧٩

٩ — رسائل علمية صدرت عن المصحة باللغات الأجنبية ٨٢

١٠ — الأطباء الذين عملوا بالمصحة خلال العشرين عاماً الأخيرة . ٨٤

١١ — المصحة بين مصر الجديدة وحلوان ٨٨

القسم الثالث — مستقبل حلوان الصحى فى الميزان ... .

١ — أثر تبديل الهواء (الجوّ) فى علاج السل ٩٠

٢ — صلاحية جو حلوان لعلاج السل الرئوى ٩٣

٣ — خطر وجود مرضى السل فى مراكز السياحة المشهورة ...
مصير حلوان بعد نقل المصحة منها ٩٥

٤ — مشروع تخصيص المنطقة الشرقية من حلوان لإنشاء مركز
علاجى للسل وغيره من الأمراض ١٠١

٥ — تعقيب وختام ١٠٧

النص الفرنسى لرسالة جناب الدكتور رينيه برناند . (التقديم) ١١٢

بيان عن الصور المدرجة فى صلب الرسالة

الصفحة

جناب الدكتور رينيه برناند المدير السويسرى الأول ٩
« البارون يوهان فوق كنوب — منشىء فندق الحياة ١٧
صورة تذكارية لأطباء المصحة فى سنة ١٩٣١ ... ... ٥٣

بيان عن الأشكال التوضيحية والرسوم البيانية

رسم بيانى عن عدد أسرة المصحة خلال السنوات الثلاث الأولى ٤١
خريطة القطر المصرى وعليها بيان عن انتشار السل فى مصر . ٤٦
رسم بيانى يوضح نسبة حدوث النزيف الرئوى بحلوان ٤٨
رسم بيانى عن نمو المصحة التدريجى خلال سبع سنوات ٥١

بيان عن الجداول الاحصائية

نمو المصحة التدريجى فى عهد وزارة الصحة ٧٥
حركة قبول المرضى بالمصحة ٧٧
نفقات المصحة وإيراداتها ٧٨
الرسائل التى صدرت عن المصحة باللغة العربية ٧٩
الرسائل التى صدرت عن المصحة باللغات الأجنبية ٨٢
الأطباء الذين عملوا بالمصحة خلال عشرين عاماً ٨٤

بيان عن الصور الملحقة

مقابل الصفحة

حضرة صاحب الجلالة المغفور له الملك المعظم فؤاد الأول منشىء المصحة ٢
منظر عام لمصحة فؤاد الأول من الواجهات القبلية ٤
ملحق مصور مؤلف من ست عشرة ورقة صقيلة : ١٦
عشر ورقات تحوى صور تذكارية من سجـــلات المصحة ... ...
ست ورقات تحوى صور عن عملية تفريغ الكهوف الرئوية ...

حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول مع الدكتور برناند فى الحديقة يوم الافتتاح الرسمى.

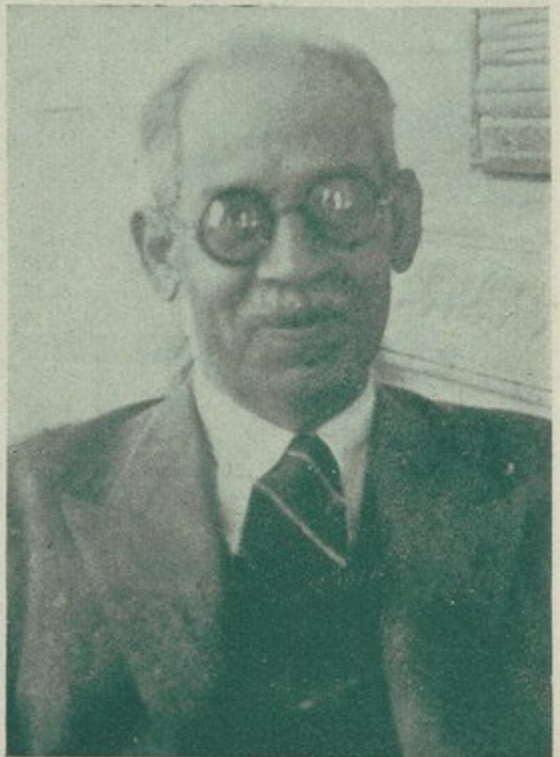

صاحب السعادة الدكتور سالم هنداوى باشا مدير القسم الطبى بوزارة الأوقاف عند إنشاء المصحة

(الصورة أخذت فى عام ١٩٤٦)

حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الأول يوقع دفتر الزيارة فى يوم الافتتاح الرسمى دكتور برناند ، معالى الفرابلى باشا. معالى سعيد ذو الفقار باشا .

معالى الفرابلى باشا وسط أطباء المصحة وممرضاتها ، وبعض مريضات المصحة فى سنة ١٩٢٨

دكتور برناند ودكتور عبد الرءوف ودكتور شكرى وسط أول فرقة تمثيلية بالمصحة مؤلفة من مرضى وموظفين ، وبينهم حسين افندى فياض مدرب الفرقة سنة ١٩٢٨

فى سنة ١٩٢٧ — دكتور برناند فى الوسط (بالطربوش) وإلى اليمين دكتور چلبير (بالطربوش) وإلى اليسار دكتور عبد الرءوف وخلفهما دكتور پانشو بالطربوش ودكتور شكرى

فى سنة ١٩٢٨ ، دكتور برناند ، دكتور صفوت بك ، دكتور سالم بك هنداوى الاستاذ القبانى ، مراد محسن باشا ، المغربى باشا ، وخلفهم ، دكتور شكرى ودكتور عبد الرءوف فى حديقة المصحة

فى سنة ١٩٢٨ معالى الغرابلى باشا ، وابراهيم فهمى باشا مع مدير المصحة ووكيلها .

مندوبو مصر فى مؤتمر روما عام ١٩٢٨ بين لفيف من أعضاء المؤتمر

أعضاء مؤتمر القاهرة الدولى بالمصحة فى عام ١٩٢٨

صورة تذكارية لأطباء المصحة وبعض مرضاها فى أبريل سنة ١٩٢٩ (دكتور برناند وحرمه وأولاده فى الوسط)
دكتور عبدالرءوف ودكتور العشرى ودكتور الشال (إلى اليمين) دكتور شكرى ودكتور شريف (إلى اليسار)

دكتور برناند بين مساعديه من الأطباء والممرضات فى سنة ١٩٢٨

صورة تذكارية لأطباء المصحة فى فبراير سنة ١٩٣٦

صورة تذكارية لأطباء المصحة وممرضاتها وموظفيها فى سنة ١٩٤٥ — دكتور عبد الرءوف (فى الوسط بالطربوش) ،
دكتور شريف (إلى اليسار) دكتور الشال (إلى اليمين) وخلفهم ، حمدى افندى (صيدلى) ، دكتور عطيه ، دكتور نجم ، دكتور عبد العظيم

من ذكريات الشباب

دكتور العشرى فى سنة
١٩٢٨

دكتور شكرى فى صيف
١٩٢٧

دكتور عبد الرءوف حسن
فى صيف سنة ١٩٢٧

دكتور الشال فى أكتوبر
١٩٢٨

مديرو مصحة فؤاد الأول بحلوان

(خلال عشرين عاما)

دكتور رينيه برناند (١٩٢٦ — ١٩٢٩)
(ثلاثة أعوام)

دكتور إريك زيمرلى (١٩٣٠ — ١٩٣٢)
(ثلاثة أعوام)

دكتور عبد الرءوف حسن
من يناير ١٩٣٣ إلى ١٩٤٦
(أربعة عشر عاما)

(م ١٠ ع) الحالة الأولى :

« تفريغ الكهوف الرئوية » عملية جراحية حديثة ، أجريناها لأول مرة فى مصر ، بطريقة مُبتكَرة ، فى مصحة فؤاد بحلوان ، والصور التالية تعرض بعض النتائج التى لا تحتاج إلى تعليق .
(يراجع القسم الثانى الصفحة - ٧٤ - من هذه الرسالة)

الصورة - ١ - كهف كبير جداً شامل لأكثر من نصف الرئة اليسرى بعد خراج رئوى ، قبل العملية .

(م ١٠ ع)

الصورة - ٢ - بعد أسبوع من العملية وقد صغر الكهف إلى النصف .

(م ١٠ ع)

الصورة - ٣ - بعد شهرين من العملية وقد زال الكهف . (الفسطرة لا تزال موجودة)

(م . م . ع) الحالة الثانية :

الصورة - ٤ - كهف كبير بقمة الرئة اليسرى قبل العملية .

(م . م . ع)

الصورة - ٥ - بعد العملية بأسبوعين ، الكهف أصبح ¼ حجمه الأصلي .

(م . م . ع)

الصورة - ٦ - بعد شهر من العملية ، وقد زال الكهف تماما .

الصورة - ٧ - بعد ثمانية شهور من العملية ، الكهف غير موجود .

(ا ٠ م ١٠) الحالة الثالثة :

الصورة - ٨ - كهف كبير بقمة الرئة اليمنى قبل العملية .

(ا ٠ م ١٠)

الصورة - ٩ - بعد العملية بيومين وترى القسطرة داخل الكهف .

(ا ٠ م ١٠)

الصورة - ١٠ - بعد العملية بشهر وقد اندمل الكهف .

(ا ٠ م ١٠)

الصورة - ١١ - بعد ستة شهور من العملية ولا يوجد أثر للكهف .

(ع . ع) الحالة الرابعة :

الصورة - ١٢ - كهف كبير بقمة الرئة اليسرى قبل العملية .

(ع . ع)

الصورة - ١٣ - بعد العملية بيومين تبدو القسطرة داخل الكهف .

(ع . ع)

الصورة - ١٤ - بعد ستة أسابيع من العملية وقد اندمل الكهف .

(ع . ع)

الصورة - ١٥ - بعد عشرة شهور من العملية ولا يوجد أثر للكهف .

الصورة - ١٦ - كهف كبير بقمة الرئة اليمنى قبل العملية .

الصورة - ١٧ - بعد العملية بأسبوع . القسطرة داخل الكهف .

الصورة - ١٨ - ثلاثة أسابيع بعد العملية . الكهف غير واضح .

الصورة - ١٩ - ثلاثة شهور بعد العملية . وقد اختفى الكهف .

أجهزة مبتكرة استعملناها فى عملية « تفريغ الكهوف الرئوية » وهى مصرية صميمة فى فكرتها وصناعتها .

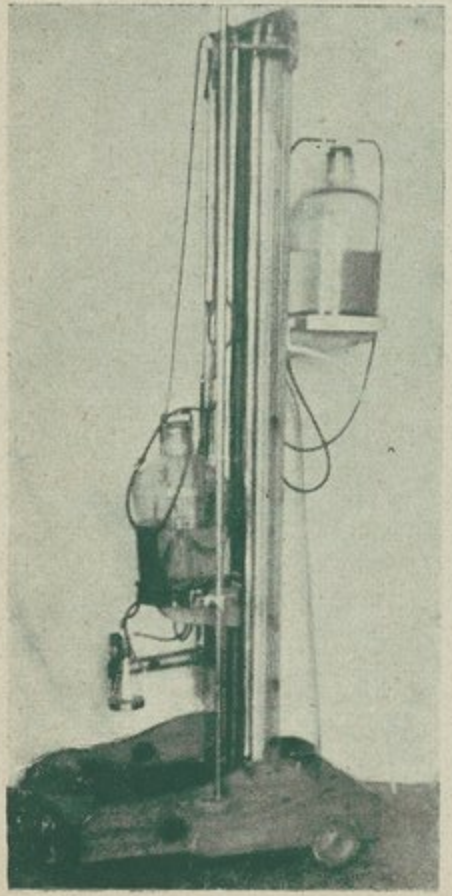

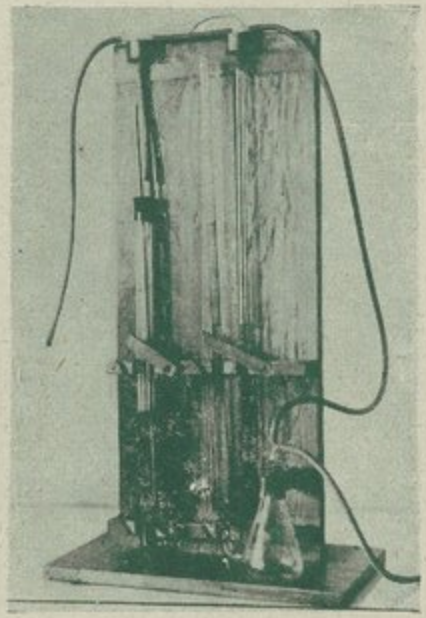

إلى اليمين : آلة جراحية وجهاز سحب للحائط .

إلى أعلا : جهاز تفريغ سهل النقل .

إلى اليسار : جهاز تفريغ ذو زجاجتين .

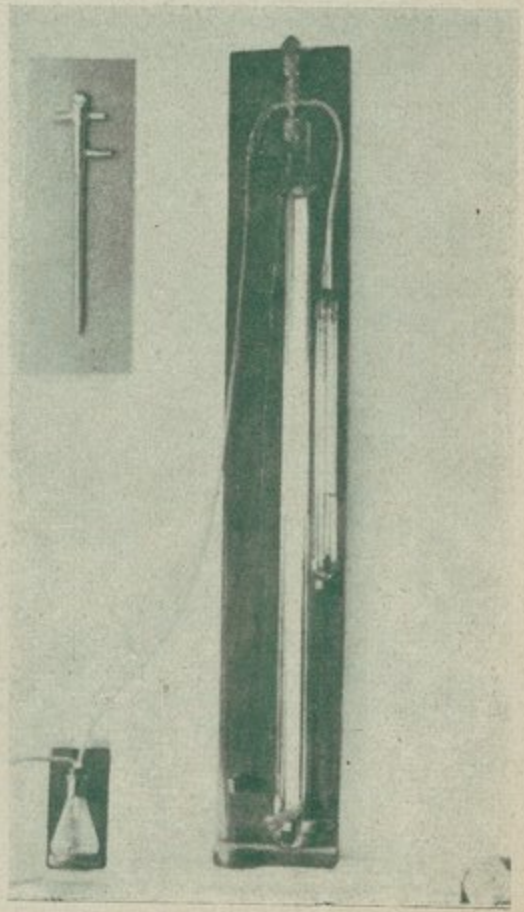

362.962:H34mA:c.1
حسن ،عبد الرؤوف
مصحة فواد الاول بحلوان
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01021108

American University of Beirut

362.962
H34mA

General Library

362.962
H34mA